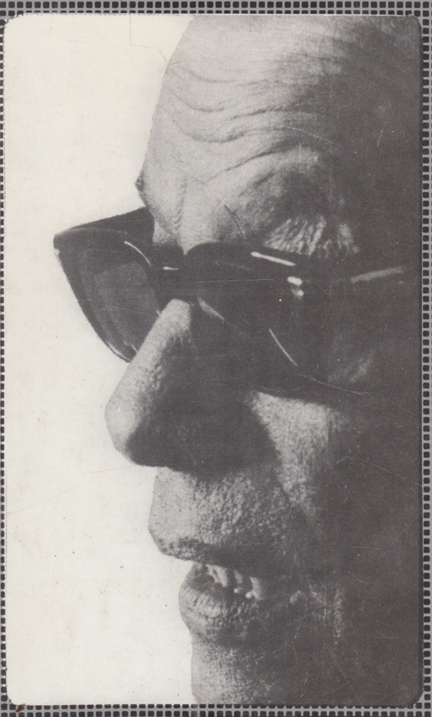


نجيب محفوظ

حياته وأدبه

نبيل فرج

إهـــــــداء٢٠٠٩

أسرة المرحوم الأستاذ / سامي خشبة

جمهورية مصر العربية

نجيب محفوظ

حياته وأدبه

الاخراج الفنى : زهور السلام شاكر سعيد

نجيب محفوظ

حياته وأدبه

نبيل فرج



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦



نجيب محفوظ

تقديم

يرتبط أدب نجيب محفوظ ارتباطا وثيقا بحياته ·· حيـــاة المثقف القاهرى ، الذى ينتمى الى الطبقة الوسطى ، ويعيش فى ظل الوظيفة ، التى تتيح له أن يتابع المجتمع بكل تياراته ، من السفح الى القمة ·

بهذا الاعتبار تصبح أحاديث نجيب محفوظ عن حياته وأدبه ، كما تصبح شهادات الكتاب الذين اختلطوا به ، مادة أساسية لا غنى عنها للدراسات الأدبية ، تلقى الضوء الساطع على أفكاره ومواقفه ، فى مراحله المتعاقبة ، وتساعد على فهم ابداعه الشاسع الأرجاء ، الحافل بالهموم ، والصراع ، والتطلع ·

وقارىء هذا الكتاب الذى جمعت مادته من أوائل السبعينات حتى أوائل الثمانينات ، ما بين القاهرة والاسكندرية ، سيجد أن نجيب محفوظ يتحرك فى مدار فكرى وفنى لا يتغير كثيرا ، وأعنى ، بذلك ، أنه لا يتحول من النقض الى النقيض ·

والحق أن المسارات الرئيسية لهذا المدار تحددت منذ أمسك نجيب محفوظ بالقلم فى نهاية العشرينات ، مزودا بهذا القدر التلقائى من التشوف للمعرفة ، ولم تزده الأيام الا تبصرا وتعمقا وشفافية ، سوا ءجاب التاريخ، أو انغمس بكلتا يديه فى الواقع الخشن ، أو حلق فى رحاب الخيال والاحلام، مسترسلا مع وحى القلم ،وخطوطه المضيئة ·

وسواء ، أيضا ، اعتمد على العقل والوعى وقوانين الفكر الصارمة، أو نهل من الحدس والأعماق واللاوعى ، أو استجاب للتجربة الحية ، المناهضة لكل قوانين المنطق ، التى تصور فوضى العالم ، وتشتته ، وتأبيه ·

وسواء ، أيضا ، ضرب بفرشاته فى الكليات والتجريد والنفى ، أو غرق فى التفاصيل والذرات والاثبات ·

عبر هذه الرحلة المتصلة فى الحياة والأدب ، لم يكن نجيب محفوظ يملك غير الكلمة ، التى تنبع من ضمير مرهف ، بالغ الصفاء ، يكتسب روحه الانسانى من ضمير مصر الخالدة على مدى العصور ، ومن قدرتها التى لا تهن على الصمود ٠

وبقوة هذه الكلمة المجلوة وحدها ، التى لا يضعف نسـيجها أو ينطفىء بريقها ، مد نجيب محفوظ بصره فى أفق الشمس ، يقول ما يراه من حقائق عيانية ، فى سياقها الزمنى ، و لايطرح المسـئولية عن كاهله أبدا ٠

والى اليوم لايزال نجيب محفوظ ، كما كان ، متجردا فى وضوح ، الا من القوة الذاتية للكلمة ، المكتفية بنفسـها ، المنزهة عن الغرض ، المتفتحة على الذات والعالم ٠

ومهما كان الخلاف وتضارب الآراء حول نجيب محفوظ ، فقد كانت هذه الكلمة التى كتبها بنبض القلب ـ على حـد تعبيره ـ ملتزمة دائمـا بقضايا الوطن ، حسب اجتهاده الشخصى ، وهو اجتهاد أمين مع نفسه ومرتبطة دائما بقضايا الانسان ، فى نطاق رؤيته الخاصة ، وهى رؤية تتصف بكثير من الموضوعية ٠

وداخل هذا الاختيار الارادى الحر ، تتحدد قيمة نجيب محفوظ ، كما تتحدد دلالات أدبه ، مؤكدة عمق العلاقة بين خصائص أدبه ، وسمات حياته ٠

٢٠ أغسطس ١٩٨٥ — نبيل فرج

بين الاتهـام والدفاع

للكاتب المصـرى نجيب محفوظ رؤية متكاملة للحيـاة والفن ، نطالعها بجـلاء فى احاديثه الأدبية التى تنشـر ، كما نسـتشفها من انتاجه الروائى الذى مضى عليه الآن ما يزيد عن اربعين سنة •

ونجيب محفوظ ، منذ بداية حياته الادبية ، منجـذب بقوة للعلم • وهو يرى أن العقول الراجحة فى الحضارة الحديثة نتيجة الى العلم ، لا الى الأدب والفن • ولهذا لم يظهر فى سـاحة الأدب العالمى اديب أو فنان عملاق من طراز من ظهر فى العصـور الماضية •

وقليل من يعرف ان قراءات نجيب محفوظ فى عـلوم الطبيعـة والتاريخ والفلسفة والدين اكثر من قراءاته فى الفنون الأدبية • ولعل هذه القراءات هى التى دفعت الى غلبة الفكر على انتاجه • ولكنه ليس فكرا مجردا ، خارجا عن الزمان والمكان ، بل منتزع من قلب الحياة الواقعية الجياشة بالحركة •

على أن نجيب محفوظ ، خاصة فى مراحله المتأخرة التى انتج فيها رواياته الدرامية القصيرة ، لا يبدأ أعماله الروائية من الحياة ، وانما يبدأها من الفكر ، حين لا يتوافق مع الحياة ، أي من الرأى الذى يعيشه فى تناقضه مع الوسط التاريخى المحيط ، الى أن يجد نفسه ككاتب له موقف مدفوعا الى التعبير عما يجول بصدره ، بوحى من ضميره ، وخدم ، وفى ضوء ما خبره من تجارب •

اما فى حالة التوافق مع الوسط ، فانه يزهد فى الكتابة • ولقد توقف نجيب محفوظ عن الكتابة بالفعل بعد ثورة ١٩٥٢ ، التى اطاحت بالمجتمع

القديم البالى ، ولم يعد اليها الا سنة ١٩٥٧ · وكان يمكن أن يتوقف تماما عن الكتابة لولا ما اعترض تاريخ الثورة فى بلاده من نواقص عانت منها الجماهير ·

ويؤكد نجيب محفوظ انه اذا اختلفت مقالة الكاتب عن عمله الأدبى ، فان العمل الأدبى ، بما يزخر به من رؤى واحداث ، أصدق بالضرورة فى التعبير عن مؤلفه من المقال ·

تحت تأثير هذا المفهـــوم ، يرى نجيب محفوظ ان كل أدب محلى يتناول قضايا من البيئة هو ادب عالمى، ان سلمت له عناصره الجمالية، من حيث ان المشاكل المحلية التى تتصل بأهل البيئة المحلية ، ليست فى النهاية الا مشاكل انسانية ·

ولكن لمس القاسم المشترك بين المحلى والانسانى يتوقف بالدرجة الاولى على قدرة الكاتب على النفاذ الى الجوهر الحى للاشياء ، الذى يخضع له البشر جميعا بفعل الظروف والزمن ، أو ، على حد تعبير نجيب محفوظ ، يتوقف على استكمال الابعاد الفلسفية للتجربة المحلية ، على نحو يرتفع بها الى العالمية ، بنقل التجربة من الحيز الخاص الى الأفق العـــــام ·

ومعنى هذا ان الأدب المحلى عند نجيب محفوظ أدب لم يستكمل عمق النظرة وشـمولها · والأدب الانســـانى هو الذى يستكمل العمق والشمول ، فيقرأ فى تعثر الانسان الكفء مثلا تقلب الظروف فى الدنيا ، وهكذا ··

والكاتب الانسانى لا يتوصل الى ابداع هذا الأدب قسرا ، وانما من خلال الاهتمامات التى تستغرقه ، ولذلك يشفق نجيب محفوظ على كاتب طموح يتجاهل الأمور المحلية الملحة ، ظنا منه أنه ، بهذا التجاهل ، يمكن أن يتخطى المحلية ، ويرقى الى العالمية ، بينما لو استجاب لدواعى نفسه لانتج أدبا جيدا على كل مستوى ·

ويثير موقف نجيب محفوظ من ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ الحيرة البالغة · اذ يرى البعض انه تحول فى السنين الأخيرة الى جانب قوى اليمين ، خاصة بعد رواية « الكرنك » ، التى استغلت للنيل من عبد الناصر وعهده ، ولكن نجيب محفوظ ينكر كل ما يقال بهذا الصدد ·

وفى كل الاحاديث التى عقدت معه فى الصحافة العربية ، وتعرضت لموقفه من ثورة ١٩٥٢ أو من عبد الناصر ، يقرر نجيب محفوظ أن رواية « الكرنك » لا تدين الا الارهاب ، وانها تتضمن فى نفس الوقت ، فى أكثر من موضع ، تنويها بالمنجزات التى تمت ، فهى ثورة العدالة الاجتماعية والقومية العــــربية والديمقــراطية ، لولا أنها هدمت بيد ما بنته باليد الأخرى ٠

كذلك يدحض نجيب محفوظ الاتهام القائل بانه لم يتصد بالنقد لعهد عبد الناصر ، مشـــيرا الى أعماله الروائية منذ « أولاد حارتنا » حتى « ميرامار » ، وتشـمل « اللص والكلاب » ، « السـمان والخريف » ، « الطريق » ، « الشحاذ » « ثرثرة فوق النيل » ٠ سوى ان نجيب محفوظ لا يفوته أن يبين ان هذا الموقف النقدى لم يصـــدر من موقـع الرفض للثورة ، وانمـــا من موقع الانتماء لها ٠ وهذا الموقف النقدى لم يمنعه بالطبع من الاشادة بعبد الناصر كزعيم وطنى كبير ٠

هذه طائفة من الاراء والمواقف التى يعتنقهـــا نجيب محفوظ ، صاغها فى أعماله ، وأفصـــح عنها فى أحاديثه ، وكلاهما يتمم الآخر ٠ وهى ، جميعا ، ليست حصيلة المطالعة الصماء للكتب الصفراء ، بل ثمرة المعايشة الحميمة للتراث الانسانى ، والحضور الحى فى الحياة ٠

رحـلة الابداع الفنى

يعد نجيب محفوظ ، بلا منازع ، اشهر روائى مصرى معاصر ٠ بدأ حياته الأدبية فى سن العشرين ، سنة ١٩٣١ ، بكتابة المقالات الاجتماعية والفلسفية٠ وقد استمر هذا الانتاج فى المجلات المختلفةالى نهاية الاربعينات اثناء اتجاهه الى التاريخ المصرى القديم ، حيث قدم ثلاث روايات هى : « عبث الاقدار » ١٩٣٩ ، « رادوبيس » ١٩٤٣ ، « كفاح طيبة » ١٩٤٤ ٠

ولكنه لم يلبث أن انتقل ، دفعة واحدة ، الى « القاهرة الجديدة » ، وهى اسم الرواية التى صدرت له فى العام التالى ، ١٩٤٥ ، مقتحما بوعى كبير أحياءها الشعبية ، ومشاكلها الاجتماعية ، فى مرحلة من مراحـــل الشقاء واليأس والظلم ، التى تضافر فيها الاستعمار مع الرجعية فى تمزيق الواقع المصرى ٠

أما بالنسبة للاسلوب أو الشكل فكان الاهتمام منصبا على التفاصيل والجزئيات ، سواء فى البعد الواقعى أو البعد النفسى ، على نحو ما نجد بجلاء فى ثلاثية « بين القصرين » ١٩٥٦ ، « قصر الشـــوق » ١٩٥٧ ، « السكرية » ١٩٥٧ ، التى احتشدت بالشخصيات ، أو روايته التحليلية السابقة « السراب » ١٩٤٨ ، التى توغل فيها فى أحراش النفس ، متأثرا فيها بقراءاته فى علم النفس من جهة ، وبرواية « سارة » للعقاد من جهة أخـــــرى ٠

ثم تلا هذه المرحلة الطبيعية فى أدب نجيب محفوظ ، التى غلب عليها المسح الاجتماعى ، مرحلة جديدة فى الكتابة ، تمثل نضج الكاتب الحق ، بدأت برواية « أولاد حارتنا » التى لم تنشر فى كتاب الا سنة ١٩٦٧ ، وبدت أوضح ما تكون فى « اللص والكلاب » ١٩٦١ و « السمان والخريف » ١٩٦٢ ، « الشحاذ » ١٩٦٥ ، « ثرثرة فوق النيل » ١٩٦٦ ، بالاضافة

الى قصصه القصيرة التى جمعت فى « دنيا الله » ١٩٦٣ ، و « بيت سيىء السمعة » ١٩٦٥ ٠

فى هذه الأعمال وما بعدها لم يعد الكاتب مشغولا بظواهر الوجود ، بل بالوجود فى ذاته ، وأصبح البناء الفنى لأعماله يخضع لأفكار الكاتب وانفعالاته ازاء الحياة والعصر ، ولا يتحقق الاتجاه للواقع ، وبمعنى أدق الوجود فى زمن ، الا بالقدر المحدود الذى يجعل منه وسيلة لاحكام التعبير الدرامى عن هذه الأفكار والانفعالات المجردة ، حيث تغنى اللمحة الخاطفة عن التفصيل ، أو الجوهر عن العرض ، دون أن يطغى الواقع على الفكر ، أو يطمس الفكر الواقع ٠

ومن يطالع هذه الأعمال يجد أن الأحداث تقل ، والشخصيات تختصر الى الحد الأقصى ٠ ولا يلتزم المؤلف بالتسلسل الزمنى ، كما فى الرواية الواقعية ، التى يخاطب فيها الحرف الحواس ، وانما يحلق الكاتب فى الكليات ، فى السموات الفلسفية ، فيما وراء الواقع ان جاز التعبير ، مستخدما الرموز على أكثر من مستوى ٠

قد يكون الرمز ، فى دلالته الكامنة ، البحث عن الله ، من لحظة الميلاد الى لحظة الموت ، من خلال بحث الابن عن أبيه فى رواية « الطريق » ١٩٦٤ ٠ يؤكد هذا المعنى بعض الخيوط المتناثرة فى الرواية التى تصف هذا الأب بأنه لا حد لنفوذه ــ تهتز الدنيا لدى محضره ــ رحمته لا تنفد ، وهى صفات تتجاوز بالطبع قدرات البشر ٠

وعلى نفس هذا الغرار يرمز أولاد الحارة أنفسهم الى تاريخ البشرية ، منذ آدم وحواء ، وتنطلق المآسى التى يتعرضون لها مع ما حفل به التاريخ من مطامع ، ومن أجيال اجهضت ، بسبب الحروب الطاحنة ٠

ومع هذا فيمكن أن نجد فى المرحلة الواقعية بعض بذور هذه الأبعاد الميتافيزيقية ، التى تبلورت فيما بعد ، ممثلة فى شخصية السيد أحمد عبد الجواد ، الذى يتسم بملامح الوهية ، كما يمكن أن نرى فى هذه المرحلة الواقعية نفسها بقايا من الرصد التاريخى الدقيق ، انحدرت من المرحلة الأولى ٠

يتجلى فى هذه المرحلة المتأخرة فى أدب نجيب محفوظ تأثره بصفة خاصة بالفلسفة الوجودية ، التى تعبر عن يأس الانسان العميق ، وشعوره المتفاقم بالوحدة والغربة ، والجنوح الى التشاؤم ، الى جانب انتفاعه بكل

التيارات الفنية الحـــديثة ، من العبث ،الى اللامعقول ·· التى تحطم الأشكال التقليدية فى الرواية ·

أما اللغة فترف بالشـــاعرية المكثفة ، التى تحوى فيها العبارات القصيرة الخاطفة عوالم بأكملها ·

وأدب نجيب محفوظ ، فى النظر الكلى ، مجموعة غنية من الأنماط البشرية ، ومن التيمات الأساسية ، وان فاضت بالتفريعات والتنويعات المختلفة النامية ·

نجد فى الأنماط شخصية اليسارى ، واليمينى ، والانتهازى الوغد ، الذى يلبس لكل حال لبوسها ، كما نجد البغى ، والمرأة المحتشمة ، وابن البلد ، والفتوة ، والعاشق ، والمتصوف ، والموظف الصغير ، والطالب ، والتـــاجر ، والســـياسى ، والأم ، والأب ، والأخت ، والقـــاتل ، والمتمرد ··· الخ ··

ونجد فى التيمات التطلعات الطبقية جنبا الى جنب التطلعات الى العدالة والحرية ، حتى ترقى الحياة الى ما يليق بها ·

نجد الأحلام بقدر ما نجد العناء والكوابيس · نجد الشعور الوطنى الجارف ، والخيانة المقززة ، والتنكر للمبادىء والكذب · نجد الخوف يترصد فى الزوايا والأركان ، من المجهول · نجد المطاردة والتعاســـة والهزيمة والحذر واصطدام مصائر الأفراد ، والخطر الداهم وسوء الحظ الذى يجعل الموت يجىء مع الصحة والسلامة ·

نجد الصدفة العمياء ، والقدر الغاشم فى ضربته القاضية · نجد الانتقام الرهيب ، والأشواق الجنسية ذات المخالب والأنياب ، والاعلاء من جانب الروح والقيم الأخلاقية ، نجد العزة النفسية ، كما نجد الذل والمهانة والابتذال ·

الا أن هذه التيمات والشخصيات ليست أحجارا صماء ، وانما هى دائمة التحرك والتفاعل والتطور ، اما صعودا أو هبوطا ، نتيجة معتقد جدلى ودينى راسخ ، يرى أن لا دوام لحال ·

وعلى حين يدين نجيب محفوظ التطلعات الطبقية ، التى يكون ثمنها

عادة فادحا ، نراه ، فى نفس الوقت ، يصور الحياة العادية ، التى تترسم جادة الطريق ، خالية من الابداع الجديد ، تشيع الرماد فى النفس ٠

هذه مجرد خطوط عريضة لبناء فنى شامخ ، مترامى الجنبات ، عميق الأغوار ٠ لا يستطيع الناقد أن يحيط به احاطة شافية ، أو يلم الماما حقيقيا بكل ما يتضـــمن من حكمة ووعى ، وبحث دؤوب لا يتوقف عن الحقيقية ٠٠

ولأن ما لا يدرك كله ، كما يقال ، لا يترك كله ، رأيت أن أضع أمامكم هذه الأسطر القليلة ، قبل أن نلتقى بنجيب محفوظ ، وجها لوجه ، فى الأحاديث التالية ٠

ظواهـــر الوجـــود

يتحدث نجيب محفوظ فى هذا اللقاء عن الظروف والقيم التى بدأ الكتابة فى ظلها ، منذ ثلاثين سنة ، ويحدد كتب التراث العربى التى وجهته الى تأليف القصة والرواية ، والافكار والأساليب التى يصدر عنها أدبه الغنى ٠

ونجيب محفوظ ، كما يتبدى من انتاجه الذى يتناول مشـــــكلات اجتماعية وفكرية هامة ، كاتب أصيل شجاع ، ومواطن شريف ، واجه بجلد ، فى بداية حياته الأدبية وعلى مدى طويل ، تجاهل النقـــاد التام لأعماله ٠ وظل يتقدم الى القراء بأعماله الجادة الواحدة بعد الأخرى سنين عديدة ، الى ان اعترفت به الحركة الأدبية برمتها ، وتبوأ مكان الصدارة فى مجال الرواية على مستوى العالم العربى ٠

ويفوق ما كتب عن نجيب محفوظ من مقالات ودراسات ما كتب عن أى كاتب عربى آخر من المعاصرين ٠ ذلك ان ابداعاته لا تقف عند حدود ما ، سواء من ناحيتها الفنية ، التى يرتفع فيها الاداء الى أعلى درجات الشاعرية والبناء المحكم ، أو مضمونها الفكرى المتصل بصراعنا الاجتماعى والسياسى المتقدم ، الذى تعطى رواياته صورة واضحة شـــاملة عن تياراته فى غضـــون هذا القرن ، تنبىء عن رؤية نافذة ، تحيط بالظاهر والمضمر فى الحياة والنفس ٠٠

وفى السنوات الاخيرة وجدت أعمال هذا الكاتب الكبير طريقها الى المسرح والسينما والتليفزيون والاذاعة ، فتضاعف عدد المتلقين لها ، وطبقت شهرته الآفاق ٠

كذلك اقتحم نجيب محفوظ ، فى الفترة الاخيرة ، عالم المسرح ، وقدم عدة تجارب من فصل واحد ، نشـرت فى مجموعته القصـــصية « تحت المظلة ٠

هنا ، يجيب على عدد من الاسئلة :

ــ ما هى القيم الفكرية التى بدات الكتابة فى ظلها ؟ وما التغيير الذى اعتراها ؟

ــ عندما بدأت الكتابة كنت خاضعا بطبيعة الحال لقيم هى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية ٠ ولا أظن ان شيئا من هذه القيم تغير مع مجرى الحياة ٠ غاية ما فى الأمر أن قيمة كانت تحتل الصدارة اكثر من غيرها تبعا للظروف والاحداث ٠

وأنت تجد هذه العناصر مجتمعة فى رواية « كفاح طيبة » كما تجدها فى « ميرامار » ٠

ــ متى تشكل فكرك الاجتماعى المتقدم ؟

ــ ربما وأنا طالب فى الجامعة فيما بين سنتى ٣٠ ـــ ١٩٣٤ ، وأساسا بفضل الاستاذ سلامة موسى الذى وجهنى الى معشوقين لم اتخل عنهما حتى اللحظة هما الاشتراكية والعلم ٠

ــ ماذا أفدت من نشاتك وسط البورجوازية الصغيرة ؟

ــ أفدت منها خبرة غير محدودة بالاشخاص نساء ورجالا وبأسلوب الحياة ٠ كما افدت منها أيضا تجاوزى لهذا الاسلوب ٠

ــ على الرغم من انحصار حياتك بين البيت والوظيفة ، فقد بلغت فى انتاجك شأوا بالغا من العمق والشمول ٠ الام يرجع ذلك ؟

ــ يرجع ذلك أساسا الى أن العمق والشمول لا يتعذران بسبب ضيق البيئة ، وان أى بيئة مهما تحددت فهى خلية انسانية قد تعكس الانسانية جميعا ٠

ولا يعنى هذا انى أريد أن أنكر فضل التنقل والاستزادة من الخبرات البشرية ٠ انما الذى أريد أن أقوله أنه حتى اذا حرم الانسان من ذلك فانه يستطيع ان يصل بطريقة ما ــ ولو متواضعة ــ الى الانســان فى

شموله · خاصة واننا فى عصر رفعت فيه الحواجز والمسافات المادية والروحية بين الناس جميعا ·

ـ أى أعمال التراث العربى كان لها تاثيرها فى توجيهك للكتابة ؟

ـ أعمال عظيمة مثل : ألف ليلة وليلة ، سيرة عنترة ، حمزة البلهوان، رسالة الغفران ، حى بن يقظان ، وبعض القصص المنشورة فى كتب التراث كالأغانى والعقد الفريد والبيان والتبين وغيرها ·

ـ ماذا اعطتك الحياة ؟ وماذا أعطاك التراث ؟ وماذا اعطتك الفلسفة ؟

ـ الحياة تعطى الخبرات والتجارب ، والتراث الانسانى يعطى الرؤى والاشكال ، والفلسفة تعطى الافكار أو ترجمة الحياة الى الفكر ·

على انى اعتبر جميع هذه الاشياء مسميات لشىء واحد هو الحياة· والحياة تتضمن الخبرة والفكر والتراث · بعضها يحدث على مسرح الحياة ، والبعض يسجل فى الكتب وغيرها ·

ـ ماذا أخذت فى كتاباتك من الانتاج العالمى ؟

ـ انى أقرأ واحيا وعندما يتحتم على ان اكتب فانما ارجع الى وجدانى وحده · وطبيعى انه يعكس كل ما هضم من تجارب وقراءات · وقد يصعب على تحديد ما تأثرت به من كثرته · ولذلك فخير ما افعل أن اترك ذلك للناقد الأريب ، يضىء به قارئه وأنا شخصيا ·

ـ ألم تتأثر على نحو خاص بأعمال جيمس جويس وفوكنر والمنفلوطى ؟

ـ استطيع ان أذكر لك انى قرأت الكثير لهؤلاء الكتاب، وانا اعترف بدينهم الكبير على وعلى الأدب ، وانى لا أشك فى انى أفدت منهم فائدة لا تقدر · أما تحديد هذه الافادة فأرجو الرجوع الىالنقاد · وكماقرأت هؤلاء فقد قرأت غيرهم · ولا شك انى تأثرت بالجميع ، ولكن عندما اكتب اتناساهم ، ولا اذكر الا نفسى · ولا يعنى هذا بطبيعة الحال ان تناسيهم يبعد تأثيراتهم الكامنة فى أعماق النفس ·

ـ يدور كل انتاجك فى المدينة (لا الريف) خاصة القاهرة · ما احساسك بها ؟ وماذا تمثل فى نظرك ؟

ـ احساسى بالمدينة شىء مألوف وعادى بحيث لا أستطيع ان أميزه من غيره لأن التمييز لا يأتى الا بالمقارنة ، وانا لم أعش فى الريف اطلاقا . على أى حال تمثل القاهرة وجها كبيرا من الحياة فى الوطن العربى .

ـ وبالنسبة لاهتمامك بالاحياء الشعبية ؟

ـ يختار الكاتب عادة أماكنه من ضمن خبراته . وقد ارتبطت أكبر خبرتى بالاحياء الشعبية واناسها من أهل البلد وبفلسفتهم المبنية اساسا على الايمان والتسليم بما يأتى به القدر ، وحب الحياة من مطالبها القريبة ..

ـ ما صلة رواياتك بالتاريخ والحياة والفكر ؟

ـ مثل هذا السؤال أجدر ان يوجه الى الناقد . ومن واقع النقد أيضا أستطيع ان أجيبك فأقول : توجد روايات لها صلة مباشرة بالتاريخ كالقصص التاريخية « عبث الاقدار » ـ « رادوبيس » ـ « كفاح طيبة » . كما توجد روايات لها صلة مباشرة بالحياة الجارية ، بالتاريخ أيضا بمعنى من المعانى ، وهى تقريبا جميع الروايات حتى « الثلاثية » . وروايات ذات صلة أيضا بالحياة أو التاريخ ، ولكنها لا تخلو من نوع من الشمول، وهى التى تمتد من « أولاد حارتنا » وما تلاها .

وأنا استطيع أن أعتبرها تاريخية من حيث أنه يمكن احالتها الى الواقع والحياة .

ـ ارجو أن تحدد للقراء ما تعبر عنه الثلاثية : « بين القصرين » ـ « قصر الشوق » ـ « السكرية » ؟

ـ « بين القصرين » تعبر عن تحول مجتمع أو يقظة مجتمع من سباته على دق ثورة .« قصرالشوق » تبرز فيها العوامل الطبقية كعامل من عوامل افساد هذه الثورة . وفى « السكرية » تتجدد ثورات مع دخول شباب جديد الى المسرح .

ـ تنحو فى أعمالك المتأخرة الى الرمز والتجديد واللامعقول ، فهل يعنى ذلك ان مرحلة ابعاد الواقعية فى أدبك قد انتهت ؟

ـ فيما أعتقد لا يوجد عمل لى الا وهو نابع من الواقع وشديد الصلة به ، مهما بدا فى مظهره الخارجى من الغرابة أو الشذوذ ، لأن

الكاتب قد يلجأ الى الفانتازيا ، ولكن عينه دائما على الواقع • وأنا من هذا النوع من الكتاب • قد أجرد العمل من الواقع فيبدو تجريديا ، ولكن للوصول أكثر الى قلب الواقع • ولذلك أنا من الذين يؤمنون أنه لا يوجد أدب غير واقعي ، وان جميع الاشكال تؤدى اليه ، كما أن جميع الطرق تؤدى الى روما •

ـ منذ « اللص الكلاب » فاق اهتمامك بتيار الشعور السرد المتأنى • ما هى الآفاق التى يمنحها اياك هذا الأسلوب ؟

ـ الأسلوب الباطنى « الواعى أو اللاواعى » يناسب بدرجة كبيرة تقديم عمل من وجهة نظر شخص معين ، وبخاصة اذا وجد فى ظروف معينة مثل المطاردة فى « اللص والــكلاب » ، أو مثل الانطواء على النفس فى «السمان والخريف» و «الشحاذ» ، أو فى ظروف الذهول عن الواقع مثل « ثرثرة فوق النيل » • ولكن لم تخل رواية قديمة من هذا الأسلوب ، ولكن فى اللحظات المناسبة فقط •

ـ كذلك انحصرت أعمالك المتأخرة فى أماكن ثابتة ، وفى وقت قصير، فماذا أتاح لك ذلك ؟ وهل تفضل الآن هذا الشكل ؟

ـ تحديد الزمان والمكان يعطى فرصة عادة للسياحة فى النفس والعقل التى تتوزع على الأمكنة وعلى الأشخاص المتعددين •

ولا يعنى هذا انى افضل حالة على الأخرى • والواقع ان الكاتب لا يتمتع بحرية الاختيار فى أمثال هذه المواقف كما يبدو للناس • ولعل موضوعه يختاره أكثر مما يختار هو موضوعه •

ـ ذكرت فى حديث أدليت به منذ سنوات أنك أصبحت مشـــغولا بالوجود ذاته ، لا بظواهره • ما موقفك الآن بعد نكسة يونيه ؟

ـ أنا الآن لا أهتم الا بظواهر الوجود ـ ان صدق هذا التعبير ـ على ظاهرات هامة مثل النكسة ، والواقع السياسى والعسكرى ومصيرنا عموما • فقد ازدحمت النفس بهذه الأشـــياء • ولا وقت عندى اطلاقا للتفكير فى الوجود ذاته •

ـ تلعب المصـادفة فى رواياتك دورا هاما فى تطور الأحداث ؟ ما مبلغ ايمانك بالمصادفة كحقيقة فى الحياة ؟

– لا يمكن انكار الدور الذى تلعبه المصادفة فى حياة اى انسان ٠ اما المصادفة فى الفن فيتغير وضعها بالقياس الى رؤيا الكاتب ٠ فمثلا الكاتب الذى يؤمن بالنظرة العلمية تجد بناء عمله قائما على الحتمية او الاحتمالية تمشيا مع العلم فى احدث نظرياته ٠ وقد يلجأ الى المصادفات فى الأمور الهامشية حتى لا يخلو عمله من المشابهة المطلوبة بالحياة ٠

ولكن قد يقوم العمل احيانا على المصادفة بالنســبة لرؤية اخرى فلسفية كما يحدث مثلا عند توماس هاردى ٠ وقد توجد المصادفة بديلا عن الاناة واحكام العمل والهرب من التفكير السليم ، كما فى كثير من الميلودرامات ٠

– يتصل بهذا المعنى تردد الموت العشوائى فى رواياتك وقصصك ، والبحث عن الايمان ٠٠ فكيف تراهما ؟

– الموت قد يكون عشوائيا وقد يكون منطقيا ٠ ويوجد بجميع انواعه فى اعمالى بطبيعة الحال ٠ اما الايمان فمطلب خطير ومبحث دائم ، ولا اظن ان الانسان ينتهى منه مادام حيا ٠

– فى شخصياتك الشريرة والفاضلة قاسم مشترك من الخلق ٠ فهل يعنى أن لا فارق بينهما ؟

– أعتقد أنه لا توجد شخصية تخلو من عناصر متصارعة من الخير والشر ، وان الذى يجعلها تتجه الى ناحية أو أخرى ارادتها وظروفها معا ٠

– اخذ عليك النقاد فى اعمالك الباكرة سلبية الشخصيات وتشاؤم النظرة ٠ الى أى مدى ترى ذلك صحيحا ؟

– فى هذا الموضوع لا أؤمن ككاتب الا بشىء واحد : الامانة والصدق، ولتكن النتيجة ما تكون ، ولتفعل بنا القوة ما تشاء ٠

اننى أعطى فى اعمالى قطعة من قلبى بكل ما فيها ، وأملى دائما أن تكون فى خير القارىء لا فى شره ٠ ولكن لا أستطيع بحال من الاحوال أن أخون نفسى وفاء لناقد ٠

– ارتفعت فى أعقاب النكسة نغمة تحمل الأدب والأدباء مسئولية ما حدث ٠ الى أى مدى يصدق هذا الاتهام ؟ وما رايك فى أدب المعركة ؟

ـ الأديب الذى رأى عيبا يوما ولم يحاول تقويمه بقلمه فهو مسئول٠
والأديب القادر على الخدمة العسكرية أو التطوع مع الفدائيين ولا يفعل ذلك فهو مسئول ٠

ما عدا ذلك فالأديب مطالب ـ واقصد الأديب الذى يعجز عن حمل السلاح ـ بأن يكون صادقا مع نفسه ومع الناس ٠

وانى أخشى ان يكون الالحاح فى مطالبة الأدب والأدباء بما يسمونه أدب المعركة نوعا من الشعور بالاثم والندم من الذين يوجهون هذه الدعوة وهم جالسون وراء مكاتبهم وبخاصة اذا كانوا متمتعين بالشباب والقوة٠

ـ ماذا تتمنى للرواية العربية المعاصرة ؟

ـ ان تتعمق واقعها وتربطه بالشمول الانسانى بكل معانيه ، وان ترتفع الى المستوى الفنى الذى يضعها بجدارة فى صف الأدب العالمى ٠ وكل آت قريب ٠

التكنولوجيا والأيديولوجيا

يتبوأ نجيب محفوظ فى الحركة الأدبية المعاصرة فى القاهرة مكانة عالية ، بفضل اخلاصه الشديد للكلمة ، على مدى أكثر من ثلاثين سنة ، ووعيه الكامل بالعصر، ووقوفه دائما على أحدث أشكال التعبير ، يطور بها فنه ، ويجدد فكره ٠

وقد حققت قصص وروايات نجيب محفوظ ذيوعا بالغا ، لم يظفر به روائى عربى ٠ كما نال من اهتمام النقاد وتقديرهم ، على اختلاف اتجاهاتهم ، قدرا يفوق ما ناله اى كاتب عربى آخر من المعاصرين ٠

ذلك ان اعماله ، الشامخة البناء الثرية المحتوى ، لا تزال قابلة لمزيد من القراءات النقدية ، والتفسيرات الجديدة ٠

ويعد فوز نجيب محفوظ سـنة ١٩٧١ بالجائزة التقديرية بمثـابة تكريس من الدولة ـ كان له أطيب الوقع فى نفوس الأدباء ـ للكاتب الجاد الأصيل الذى أحبته جماهير القراء ، وحياه عشرات النقاد ٠

وفى هذا اللقاء يلقى الكاتب بعض الأضواء على جوانب من حياته ، ويناقش محتوى انتاجه ، ويطرح مجموعة من افكاره المستنيرة فى الأدب والحياة ٠

ـ متى بدأت تتعامل مع الكتب ؟ وفى أى اطار سياسى شكلت قيمك فى الأدب والحياة ؟

ـ بدأت أتعامل مع الكتب وأنا طالب ابتدائى ، وكانت كتب بوليسية خفيفة ، ثم مجلة للاطفال فى ذلك الوقت اسمها مجلة الاولاد .

بعد ذلك طالعت المنفلوطى ، ثم ترجمات الاهرام ، ثم ارتقيت الى اساتذة الجيل المعروفين .

أما عن قيمى فى الأدب والحياة فقد تشكلت فى اطار الصراع الذى كان قائما بين الشعب من ناحية وبين الانجليز والسراى من ناحية أخرى .

ـ ما هى الظروف الاجتماعية التى نشأت فيها ؟

ـ الظروف التى نشأت فيها هى الطبقة الوسطى الشعبية . وكانت الظروف ، فى عمومها ، سعيدة ولطيفة ، ولم يعترضها ما يعكر صفوها .

ـ ماذا تمثل لك الاحياء الشعبية ؟

ـ تمثل لى اكثر من معنى عزيز . تمثل لى الصبا ، والتاريخ ، وروح مصر الخالدة . وتحت تأثير هذه المعانى اخترت الاحياء الشعبية اماكن لأكثر ما كتبت .

ـ ذكر الدكتور طه حسين فى مقال له عن «بين القصرين» انك دليل على أن الجامعة تخرج الأدباء فالى أى مدى تدين للجامعة ؟ وما اثرها فى تكوين الأدباء ؟

ـ الواقع انى أدين للجامعة بالكثير ، فقد هيأت لى فرصة للثقافة المعاصرة بطريقة منتظمة ، وعلى يد خير الاساتذة . كما وفرت لى منهجا للبحث ومراجع واتصالات وعلاقات لم تكن لتتاح الا فيها .

وانا من الذين يؤمنون بالدراسة المنتظمة الجامعية والمعهدية . وأعتقد أن عصر الفنان غير المنتسب لمعهد قد مضى وانقضى .

لقد وضعت الجامعة الأساس المتين ، ثم نهض جهدى الشخصى على هذا الأساس .

ـ علام دارت مقالاتك المبكرة التى كتبتها فيما بين ١٩٢٦ ـ ١٩٣٦؟ قبل أن تتجه للرواية ؟ وهل حملت وجهة نظر معينة ؟

— كانت كلها أو أغلبها تدور حول مسائل فلسفية أو اجتماعية أو تلخيص لبعض الاعمال الأدبية العالمية وبخاصة المسرحية ٠

ولم تكن تحمل وجهة نظر مباشرة ، لأنى لم أكن بلغت الدرجة من النضج التى تسمح بطرح الآراء الشخصية ٠

— متى تكتب رواياتك ، وما تجربتك فى الكتابة ؟

— الكاتب يعيش الحياة أولا ، فتترسب فى نفوسه أشياء منها ، ويلح بعضها عليه من آن لآن ، حتى يصل الى درجة المطالبة بالكتابة عنها ٠

وعند ذلك نفرزها عن بقية غشـــاء الحياة ، ونتأملها ، ونأخذ فى الكتابة ٠ وقد نبدأ أحيانا بتجربة مكتملة لدرجة ما ، وقد نبدأ من الصفر ٠

والمهم أن أبلغ درجة من الارتياح ازاء التعبير عن التجربة ٠ وفى سبيل ذلك قد نحذف ، وقد نضيف ، وقد نعيد كتابة العبارة مرات ومرات ، وقد نمزق ما كتبناه كله ، ونعيده من جديد ٠

— معروف أنك بعد ثورة يوليو ٥٢ توقفت سنوات عن الكتابة ، لأنك وجدت الاحلام تتحقق ٠ هل لك أن تحدثنا عن الظروف التى تدفع الفنان للتعبير من خلال تجربتك ؟

— كما أن الاصلاح لا يتوقف ، فان تناقضات المجتمع لا تتوقف كذلك ٠ فبعد فترة من الزمن يتعامل الانسان مع تناقضات جديدة فى المجتمع الجديد ، ويعود الى الشعور بالهوة التى تفصل الواقع عما يجب أن يكون، فيشحذ قلمه ، ويدخل فى المعركة ٠

غير انى فى الفترة الأولى ، أى ما قبل الثورة ، كنت أكتب من موقف غير المنتمى الى المجتمع الذى أكتب عنه ، بخلاف الفترة التالية ٠

— أشار الأب جومييه ، فى دراسته عن « الثلاثية» ، الى علاقة بين ضعف سيطرة الأب وتململ مصر من السيطرة الأجنبية ٠ فهل ترى هذه الصلة موجودة حقا ؟

— أعتقد أنه توجد علاقة بين الحياة فى الأسرة والحياة فى المجتمع ؛ فمجتمع السيطرة يعكس ظله على الأسرة أو العكس ٠ والتحرر يسرى فيهما معا ٠ وأنا أعتقد ان الأب جومييه كان ثاقب الرأى فى ملاحظاته المنوه عنها ٠

- ما طبيعة الصراع الذى تعانيه شخصيا تابطالك ؟ ولماذا ينتهى بالهزيمة ؟

- اغلبه صراع اجتماعى فى سبيل تحقيق الذات أو تحقيق راى ما، وقد انتهى أغلبه بالهـــزيمة ، لأن اغلبه كان يعبر عن فـترات هزيمة فى حياتنا ٠

- تعتمد رواياتك على الشخصية الحية ٠ فما نصـــيب الواقع من التاليف فى خلقها ؟

- كل شخصية روائية مستمدة او يجب ان تستمد من الواقع ، ثم يدخلها التغيير الذى توجبه متطلبات العمل الفنى ٠ فهى دائما مزاج من الواقع والخيال ٠ وهى تضعف كلما مالت الى الواقع وحده او جنحت الى الخيال وحده ٠

- كيف تحدد مصائر ابطالك ؟

- الحقيقة ان مصائر الابطال تتحدد اساسا بطريقة تلقائية ، لأننا ما زلنا فى مجال الفن ولا شىء غيره ٠ غير انه لا شك فى وجود قيم وراء ذلك ، تعمل ايضا بطريقة لا شعورية ٠ ولذلك فالنجاح او الاحباط يكون دائما له دلالته عن موقف الكاتب ٠

فى البداية يتهيا لك انك تكتب رواية يقودك اليها شعورك ، ثم تجد فى النهاية ان التحطيم أو النجاة لهما دلالة اجتماعية وانت لا تدرى ٠

ولذلك فانا أعتبر بصفة عامة ان مصائر ابطالى كانت تؤيد موقفى الاجتماعى المعروف ٠

قد يموت الخائن ، وقد يعيش احتجاجا على قيمة مهدورة ٠

- ماذا تمثل لك اضرحة الأولياء التى تتخذها مســـرحا لأحداث قصصك ؟

- لا أكثر من معناها الشعبى بكل ملابساته ٠ انها جزء من التراث المقدس لدى الجمهور ٠ انه تراث شعبى مقدس ، يرد فى الرواية الواقعية من وجهة نظر الجمهور ، وقد يرد فى عمـــل فكرى فيمثل راى المؤلف الخـــــاص ٠

- كيف ترى الانســان والمجتمع فى عالمنا المعاصـــر ؟ وكيف تحل مشـكلاتهما ؟

ـ فى اطار التاريخ والعصر انقسم العالم الى اقسامه المعروفة ، وهو العالم الرأسمالى والعالم الاشتراكى ، وما يسمى بالعالم الثالث ٠

ويكاد يوجد رأى جديد ، يقول ان حل المشكلات بالتكنولوجيا والعلم سينسخ هذه الايديولوجيات ٠

ان التكنولوجيا هى التى تحل مشكلات العالم ، بصرف النظر عن أى ايديولوجيا ٠

ـ تومىء بعض أعمالك الى عجز الانســـان عن بلوغ الحقيقـــة القاطعة ٠ الى أى مدى يمثل هذا فكرك ؟

ـ أعتقد أن الحقيقة شىء كبير جدا ، وان الحضـــارة تمثل تقدم الانسان نحو معرفتها شيئا فشيئا ٠ وهو طريق فيما أعتقد لا نهائى ٠ فنحن دائما نعرف شيئا وتغيب عنا أشياء ٠ ولكننا دائما مســـتمرون فى البحث ، وفى محاولة السيطرة على الطبيعة ٠

وهذه الحركة هى لب الحضارة لكل زمان ومكان ٠

لو افترضنا أن الكون مثل هذه الغرفة ، فعالمنا ، وأعنى المجموعة الشمسية كلها ، لا يتجاوز رأس الدبوس الذى أمامى على المكتب ، وقد تكون هذه نسبة كبيرة لأنى لا أرى شيئا أصغر منها ، ومن هذه النقطة نحاول أن نعرف الغرفة كلها ٠

والعلماء يعتقدون ان الكون له قانون واحد ، وأنك ان عرفت الجزء فقد عرفت الكل ، وحتى هذا مشكوك فيه ، لا تستطيع القطع به ٠

ـ أيهما يتشكل بالآخر ٠ الفكر أم الأحداث ؟

ـالفكر دائما يكون لاحقا للاحداث ، فهو نتيجة لها أو تعبير عنها أو رد فعل لها انما كل شىء ينشأ من طبيعة الاشياء المحسوسة ٠

ـ انصرفت فى المرحلة الراهنة الى القضـــايا الفكرية الكبرى ، وعزفت عن تفاصيل الحياة ٠ ما سبب ذلك ؟

ـ الحقيقة أن ما يســـمونه بالأدب الفكرى أو الأدب الذى يعـــالج القضايا الفكرية ، أقرب الى التركيز وأبعد عن التفاصيل الجزئية للحياة اليومية ٠ ولذلك تجد الكثير منه مسرحيا حيث تتضاءل التفصيلات الى أدنى حد ، وتبرز مناقشة القضايا وتشمل كل شىء تقريبا ٠

ـ تنم رواياتك عن احساس قوى بمضى الزمن · كيف تراه ؟ وكيف تقهره ؟

ـ يا عزيزى نحن قد نشعر بالزمن ، اما رأيى فيه فلا حق لى فى ابدائه ، بل لم يعد للفيلسوف حق فى أن يقول رأيه فى الزمن ·

ان الزمن مسألة علمية بحتة ، فلا يحق لغير العالم ان يبدى رأيا فيه · ونحن لا ننتصر على الزمن انتصارا حقيقيا ، ولكن الحضارة هى خير وسيلة لمقاومة الزمن ·

وقصارى عملنا فى الفن أن نعبر عن احساسنا بالزمن ، وموقفنا منه ·

ـ عم يعبر الفن فى نظرك ؟

ـ الفن يعبر عن علاقة الانسان بذاته ، وبمجتمعه ، وبالكون الذى هو فيه ·

ـ ماذا يحتاج الأديب المعاصر ليستوى فى عالمنا ؟

ـ طبعا يلزم للاديب فترة التربية الثقـــافية الاولى ، وهى متوفرة بفضل المعاهد والجامعات ·

وواضح ان المعاهد تهيىء له الفرصة التى عليه أن ينميها بشخصه عن طريق الاستمرار فى التثقيف والتزود بالخبرات ·

ويلزمه ثانيا توفر جو الحرية للابداع ليمارس مســـئوليته ويلتزم بكامل حريته ·

الفن يعبر عن علاقة الانسان بذاته ··

ويحتاج بعدذلك للتشجيع من الجمهور ومن الدولة معا ·

ـ ما رأيك بالقصة العربية المعاصرة ؟

ـ القصة العربية الحديثة فى طور النشوء والارتقاء · وهى طبعا مستغرقة بهموم العالم الثالث ومتطلعه فى الوقت نفسه الى العالم الحديث ولذلك فهى تمر بفترة انتقال عنيفة تؤثر فى كيانها شكلا وموضوعا ·

ـ هل ســـقط الاطار الاجتماعى فى الأدب ، وحـــل محله الفكر السياسى ؟

– المجتمع لا يمكن أن يخرج من الفن بحال من الاحوال ، ولا بديل للمجتمع الا الخواء · وحتى أعمق الافكار الذاتية ، وأرفع الاحـــلام ، تنتمى فى النهاية الى جذورها الأصيلة فى المجتمع ·

والأدب من هذه الناحية اجتماعى مبنى ومعنى أيا كان لونه · وأحدث التجارب الحديثة فى الفن تحمل بوضوح بصمات مجتمعها ·

– ما هى الثقافات التى ترى أن أدبنا النامى يجب أن يلتقى بها ويتمثلها ؟

– بمنتهى الايجـاز جميـع الثقافات ما أمكن ، مع التركيز على الثقافة العالمية التى تمثل الحضارة الحديثة ، حيث أنه لا يوجد فى زمن ما الا حضارة واحدة ، هى الحضارة المسيطرة أو الغالبة ، والتى اذا تخلى عنها الانسان انهزم فى معركة الحياة ·

والحضارة الحديثة التى أعنيها هى الحضارة القائمة على العلم والصناعة والتكنولوجيا ·

– اعتقد أنه لا يوجد أب خالد الا وهو ينطوى على قدر كبير من التفاؤل · أين تضع اذن الأدب المتشائم ؟

– أعتقد أن وراء كل نشاط روحى عظيم ايمان عظيم بالانســـان وبالقيم · ولعله لا يوجد فن متشائم بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة · فما يظن أنه تشاؤم ليس الا نقدا عنيفا مبعثه الرغبة فى الكمال ، وما تنطوى عليه من معانى الايمان الحقيقى بالانسان وقيمه ·

– لماذا لم ينشأ الى اليوم أدب الطبقة العاملة ؟

– لقد نشأ أدب يتبنى مصلحة الطبقة العاملة · أما أدب الطبقة العاملة بالذات ، فلن يوجد الا بأقلام ابنائها ·

ولأنه يوجد فرق بين التبنى والبنوة الحقيقية ، فانا لا أعتبر أن أدب الطبقة العاملة قد وجد · ولكن بعد أن اتيح التعليم لابناء الطبقة العاملة فسيوجد حتما كتابها ·

– ما الأســـباب التى جعلت الحركة الابداعية فى بلادنا أغنى من الحركة النقدية ؟

– هى أسباب قديمة وحديثة ، وهى أن الابداع يجب أن يسبق النقد ، والنقد دائما لاحق ، وهو يزدهر بازدهاره ·

ولذلك لم توجد مدرسة نقدية حديثة الا عندما بدأ الجيل الشـــاب ينتج وينشر انتاجه فى الصحف والمجلات والكتب ·

حياتى وحياة الآخرين

احتلفت القاهرة فى ديسمبر ١٩٧١ ببلوغ نجيب محفوظ الستين · وبهذا الاحتفال يتحقق لنجيب محفوظ أحد احلامه القديمة ، التى تعود الى عشرات السنين ، وهى الخلاص من قيود الوظيفة ، والتفرغ الكامل للانتاج الأدبى والتأليف « فى جو هادىء بعيد عن صخب الحياة ومشاكلها ومسئولياتها » كما يعبر ·

فعلى الرغم من ذيوع اسم نجيب محفوظ ، وارتفاع توزيع أعماله الروائية بين القراء ، وانتشارها على خشبة المسرح وشاشتى السينما والتليفزيون ، لم يستطع الروائى الكبير أن يعتمد فى حياته ، على هذا الدخل غير الثابت ، بل ظل مرتبطا بالوظيفة ، حتى آخر يوم من مدة احالته عى المعاش ·

وهذا ما تحدث عنه الى الصحافة المصرية حيث قال : « انه مدين للوظيفة بالكثير ، اذ أمدته بينابيع ثرية من الشخصيات والأحداث والمواقف » اتخذها مادة لاعماله الفنية ·

بدأ نجيب محفوظ حياته الأدبية بكتابة المقالات ، ثم كتب الرواية التاريخية · بعد ذلك اتجه الى الرواية الاجتماعية ، فأغنى بها ادبنا العربى بمجموعة من الاعمال ، مثلت أعلى ما وصل اليه فن الرواية فى الأدب العربى المعاصر ·

غير أنه ، فى ظل ثورة الافكار التى اجتاحت العالم ، منذ بداية الستينات ، تجاوز الابعاد الاجتماعية الى الفلسفة ، حيث صاغ معانيه الانسانية الكبيرة ·

فى ما يلى حديث مع نجيب محفوظ حول حياته وفنه :

ــ ما هى الصلة بين حياتك وفنك ؟

ــ اذا فهمنا ان حياتى هنا هى حياتى الخاصة والعامة ، وما تهضمه من حياة الآخرين ، فهى المنبع الأول والأخير لأدبى ·

فى هذا الانتاج تنعكس كل الابعاد الاجتماعية التى أعيش فى ظلها . وما اكتسبته بالتجربة من معارفى ·

ــ ومصادر المعرفة المباشرة بالنسبة اليك ؟

ــ الدراسة الرسمية · أهمها التخصص فى الفلسفة · يضاف اليها دراسة الأدب العربى والآداب العالمية ــ الدراسة العامة لا المتخصصة ، ثم الثقافة العامة التى تقوم على الايمان بالعلم ، والفنون ، والانسانيات· الى جانب الخبرة بالحياة فى مختلف الطبقات ·

ــ هذا الشىء يؤدى الى الحديث عن العوامل التى شاركت فى تغيير أفكارك ·

ما هى هذه العوامل ؟

ــ أولا الثقافة ، ثانيا تجدد الاحداث · ذلك انه من خلال هذين العنصرين القويين يتغير الانسان ويتطور ·

ــ والخلاء ؟ ماذا يعنى الخلاء بالنسبة الى أبطال رواياتك ؟

ــ يجوز ، الافتقار الى عقيدة ، أو البحث عن عقيدة ، أو الانتماء ·

ويجوز أن يكون معناه الضياع · حسب العالم الفنى الذى يقدم الموضوع ·

الموروث والمكتسب

يمثل انتاج نجيب محفوظ أعلى ما وصل اليه الابداع العربى فى فن الرواية • ذلك انه يعد من الكتاب القلائل الذين يقفون على تمام الوعى باتجاهات العصر ، ومن أقدرهم على تجديد طاقة الخلق ، وطرح صيغ جديدة دائما تتلائم مع التطور المتصل للانسانية ، ويمكن ان تستوعب ما تحتشد به اللحظة الراهنة من أحداث وتناقضات •

وعلى الرغم من رفعة المكتسبات التى حققها نجيب محفوظ عبر رواياته التاريخية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، وقصصه القصيرة — لايزال هذا الفنان دائم التأمل والبحث عن أوفق الأساليب للتعبير المتقدم عما تزخر به الحياة •

وفى هذا اللقاء نتعرف على بعض مكوناته وأفكاره :

— ارجو ان تذكر للقراء العوامل التى حدت بك نحو الكتابة ؟

— استطيع ان ألخص هذه العوامل فى اهتدائى أولا ، الى متعة القراءة فى سن مبكرة ، وأنا فى المدرسة الابتدائية • ثانيا تأثرى بكاتب مثل المنفلوطى والعقاد فيما بعد ، كانا يقدسان مهنة الكتابة • ثالثا : التبجيل والاحترام اللذين كان يحظى بهما الأدب عند مدرسى اللغة العربية فى المدرسة الابتدائية والثانوية •

تحت تأثير هذه العوامل كلها ، مع أخرى لا شعورية بطبيعة الحال ، وجدت نفسى اتجه نحو الكتابة •

— فى ظل أى ظروف تاريخية بدأ يتفتح وعيك بالعالم ؟

ـ الحقيقة اننا نشأنا فى ظروف ثورة ١٩١٩ ، اذ شـــبت الثورة وعمرى نحو سبع سنوات ، ففرض علينا هذا الحدث الضخم نوعا من الوعى السياسى منذ هذه السن المبكرة · بدأت فى شكل أخبار أسطورية ، ثم أخذت أتابع الاخبار السياسية باهتمام خاص عن طريق الصحف ، بدءا من عام١٩٢٦ ، وأنا فى السنة الأولى الثانوية · وكان الباعث أن أتابع الحوار الذى يجرى فى مجلس النواب بين رئيسه فى ذلك الوقت ســعد زغلول وبين الاعضاء ·

وقد اقتصرت الرؤية الخارجية فى ذلك الوقت على صلة انجلترا بنا، لأنها كانت تلخص كل علاقاتنا المســتقبلية · فما دمنا قد اطلعنــا على سياسة لندن فاننا اطلعنا على السياسة كلها ·

وأعتقد أنه بدءا من الحرب العظمى الثانية أستطيع أن أؤرخ بهذه الفترة ببدء اهتمامى بالعالم ككل ، وادراكى أنه ليس قوقعة ، وانما كل لا يتجزأ ، اذا تداعى عضو تداعت له الاعضاء كلها ·

ـ ما نسبة الموروث فى شخصيتك من المكتسب ؟

ـ الموروث هو جميع القوى الطبيعية التى تعرف تحت صـــفات البيولوجيا والفسيولوجيا والتراث الاجتماعى البيئى ·

والمكتسب هو ما نأخذه بالتعلم والثقافة والاختلاط ، وما يســتجد على المجتمع من تغييرات معاصرة ·

وأعتقد ان المكتسب بالنسبة الى أشد تأثيرا فى نفسى من الموروث ·

ـ ما هى القيم الأساسية التى ينهض عليها أدبك ؟

ـ يجوز جدا ان رؤيتى الفنية بصفة عامة تقوم على القيم الآتية : الوطنية ـ الايمان بالعلم ـ الاشتراكية ·

ـ علام تعتمد فى اختيار موضوعاتك ؟

ـ أحب أن أقول لك أن الموضــوع يختار الكاتب باكثر مما يختار الكاتب الموضوع ، لأنه ينشأ من صميم حياته واستجاباته للعالم من حوله، فهو لا يختار اختيارا حرا : ماذا يكتب ؟ وماذا لا يكتب ؟ وانما موضوعه يفرض نفسه عليه بطريقة حتمية ·

ـ كيف تتم لديك عملية الابداع ؟

ـ يمكن أن نتصور أن النفس تكون ، منذ مولد الانسان ، مثل جهاز استقبال دائم لمختلف الانطباعات ، التى تتلاقى فى بعض جزئياتها المتناثرة لتكون اجزاء أشد صلابة وتلاحما ، حتى تصل الى درجة تستوجب التوليد والابانة والتعبير ٠

عندئذ تبدأ عملية الابداع ٠

ـ فى أدبك احساس قوى بتناقضات العالم ٠٠ أين تقف منها ككاتب ملتزم ؟

ـ يخيل الى أن مبدأ كل انتاج فنى هو الاحساس بالتناقضات وباللامعقول أيا كانت منطقة اكتشافه محلية أو عالمية ، واقعية أو ثقافية ٠ ومن غير هذا الاحساس بالتناقضات لا تنبعث شرارة التعبير الفنى والا أصبح الكاتب ان اراد أن يكتب مجرد داعية لما يتوافق معه فى سلام ٠

وأحب أن أضيف ان مصادر العبث على المستوى الاجتماعى الانسانى تنشأ من التناقضات التى تهز العدالة والنقاء ، وتنشأ على المستوى الكونى من قصور الانسان عن استيعاب حقيقة وجوده ومصيره ٠

ـ كيف ترى عالمنا المعاصر والانسان المعاصر ؟

ـ لقد تعرض العالم لتغييرات خطيرة على طول انتصاراته العلمية، التى تسللت الى أبسط جزئيات الحياة ٠ وفى الوقت نفسه تهب رياح الشك العاتية على قيمه الراسخة القديمة ٠

والانسان الآن بموقف الباحث عن قيم جديدة يمارس من خلالها قوته الهائلة بما يعود عليه بالخير لا بالهلاك ، ولابد أن يجد يوما طريق الخلاص ٠

وأعتقد أن العالم الاشتراكى وجد طريقه أيا كان هذا الطريق ٠ ذلك أنه قوى ومؤمن بعقيدة ما ، يفتقدها العالم الآخر ٠

ـ كيف ترى العلم والفن ؟ وما آفاقهما المتاحة فى المستقبل ؟

ـ العلم هو أحدث وأقوى منهج عرفه الانسان لمعرفة العالم من حوله ولمعرفة نفسه ٠

أما الفن فهو الوسيلة التى يعبر بها عن انطباعه أو رؤيته الخاصة حيال هذا العالم ليتوافق معه ٠

وحتى هذه اللحظة لم تبطل وظيفة الفن ، وضرورته فى الحياة ٠

ـ ما الذى حاولت تقديمه فى روايتك الأخيرة « المرايا » ؟

ـ بعد انتهاء « المرايا » ومرورها بين مشروعات مختلفة ، انتهت فى نظرى الى أن تكون رواية ذات تكنيك جديد ، لعله التكنيك الوحيد الذى استخدمته ولا أستطيع أن أرجعه الى أصل آخر ، وهو تكنيك ييسر تقديم العوامل المتسعة بأبسط الطرق من خلال الشخصيات المتنوعة ٠

هى ثمرة معايشة لعالم بأكمله ٠

ـ متى تختل العلاقة بين الفرد والمجتمع ؟

ـ عندما يصاب الفرد بالاحباط ، كأن يدلهم مستقبله ، أو يختل ميزان العدالة ، أو تهتز القيم التى يؤمن بها ٠

ـ وكيف يستوعب الانسان أو الكاتب عصره بكل ما يحفل به من مستويات ، ويترامى من أبعاد ؟

ـ بالانغماس فى حياته اليومية ٠ بالاطلاع على مشـــكلاته العامة بالاطلاع على هموم الحياة العامة للأمم فى ميادين السياسة والاقتصاد والفكر ٠

الاشتراكية والعلم والفن

قلت لنجيب محفوظ : لعل أفضل ما نبدأ به أن تحدد للقراء موقفك الاجتماعى ٠

أجاب : ان أحببت اطلاق صفة من الصفات الاجتماعية المعروفة على موقفى الاجتماعى ، فأعتقد أن أقرب صفة تنطبق على هى : الاشتراكية ٠ ذلك أنها تناسب رؤيتى ومزاجى من حيث انها تدعو الى مجتمع ينفى استغلال الانسان للانسان ، ويوفر تكافؤ الفرص ، واستثمار المواهب الانسانية ، كما تحترم الانسان كانسان ، وفى الوقت نفسه لا تضيق بالحرية ، علما بأننى لا أعتبر نفسى من أنصار الحرية الليبرالية ، فقد تقادمت ، وأصبحت غير صالحة لمواجهة عصر الشعوب ، والكثافة السكانية ، وقلة الموارد ٠

– هل لك أن تذكر العوامل الحاسمة التى نضج فى ظلها موقفك الملتزم من الحياة ؟

– أولا : ثورة ١٩١٩ ، وسعد زغلول ، ومصطفى النحاس ٠ عبر هذه المؤثرات عرفت قيمة الوطنية ، والحرية الدستورية ، وقيمة الجماهير الشعبية ٠

ثانيا : سلامة موسى رائد الاشتراكية والعلم والحضارة الحديثة فى جيلنا ٠

ثالثا : أخذت الايمان بالفن عن العقاد ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ٠

على أن هذه العوامل كلها مجتمعة تفاعلت فى نفسى التى خرجت الى الوجود مفطورة على الايمان وحده ·

ـ ما هى أهم التحولات التى جرت على فكرك ؟

ـ حين أرجع بالذاكرة الى الوراء ، الى أقصى ما تصل اليه ، أجد انى نشأت على اهتمامات محددة مثل : مشكلة الايمان ـ العدالة الاجتماعية ـ الفن ـ العلم ·

ومازالت هذه الاهتمامات حية معى · لم أتخل عن اعتبار أى مشكلة منها تستحق المتابعة ·

غير أن هناك تغيرا جوهريا أو أكثر يجب الاشارة اليه · أولا : كنت أعتقد أن الفن أسمى نشاط انسانى · اليوم اعتبر أن العلم هو أسمى نشاط انسانى · وأن الفن لنشاط سام ·

النقطة الثانية التى تغيرت انى كنت فى الماضـــى على اســتعداد للتضحية بالحرية الفردية فى سبيل العدالة الاجتماعية · ولكن التجربة التى مرت بنا فى مصر جعلتنى أحرص على القيمتين معا : الحـرية الفردية والعدالة الاجتماعية ، اذ ان التضحية بالحرية فى تجربتنا هى التى جرت النكبات على الاشتراكية ·

وبذلك انتهيت الى أن حب الاشتراكية نفسه يقتضى الحرص على الحرية ، اذا أردنا لها الامانة والضمان ·

أى أن الحرية كما تمارس فى البلاد الليبرالية يجب أن توجد بكل أبعادها داخل النظام الاشتراكى ·

ـ بدأت بالقصة القصيرة ، ثم اتجهت الى الرواية ، ثم عدت الى القصة ، فالرواية ، فالمسرح ·· فأين تقف بين هذه الاشكال ؟

ـ أول قصص قصيرة كتبتها لم يكن الدافع اليها فنيا ، ولكن عجزى عن نشر الرواية جعلنى أتسلى بكتابة القصة القصيرة · ولكن بعد ذلك ما كتبت رواية أو قصة الا وكان وراءها دافع فنى لا مفر منه · تسألنى : طيب ، ما هو هذا الدافع الذى جعلك روائيا حينا ، أو قصاصا حينا آخر، أو شبه مسرحى حينا ثالثا ؟ الحقيقة أننى لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال · ولم أجد ضرورة للبحث عنه · يكفينى أن أعبر بالفن ·

ويخيل الى ان عصرنا لا يحتمل المطولات · واننا يجب ان نتعلم ان
العمل الذى يكمل بالف كلمة لا يجوز ان يكتب بالف كلمة وكلمة ·

واذا كنت قد جربت بعض الصيغ الحديثة ، فلم يكن ذلك عن هواية او رغبة فى التجريب او الحداثة ، وانما كان ضرورة للموضـــوع الذى اعالجه ، ولرؤيتى له · واذا كنت قد عدت الى الشكل التقليدى كما تقول ، فذلك ايضا نتيجة ضرورة فنية ·

ولهذا فانا لا اعتبر نفسى تقدمت او تاخرت ، ولكن ببساطة اكتب ·

ـ ترى فى بعض رواياتك ان العلم اغتصب عرش الفن · ذلك ان حجم الفن يتضاءل بالنسبة لتزايد تاثير العلم ، فكيف يصـــمد الفن فى هذه المنافسة ؟

ـ قد يكون من المجازفة الآن أن نتكلم عن دور الفن فى عصر العلم، لسببين : اولا أن الفن ما يزال له دور فى المجتمع ، حيث انه يعبر عن رؤية الانسان الذاتية فى مواجهة الحياة والكون ·

وثانيا : أن عصر العلم لم يكمل بكل ابعاده · فحتى اعظم المجتمعات فى تقدم العلم ، مثل امريكا والاتحاد الســـوفيتى ـ ماتزال به آثار من الصناعة التقليدية والزراعة التقليدية ، بحيث اننا لا نستطيع أن نقول ان هذا او ذاك مجتمع علمى مائة فى المائة ·

عندما يتحقق هذا المجتمع العلمى سنجد انفسنا نعتمد على الآلة والتفكير العلمى مائة فى المائة ، ويتمتع فيه الانسان بفراغ لم يتمتع بمثله فى اى وقت من اوقات حياته · فياتى سؤال : كيف يمكن ان يملأ هذا الفراغ بطريقة انسانية ؟ وهل يكون للفن دور فى ملء هذا الفراغ ، واى نوع من الفن ؟

هذا الفـراغ الموعــــود يجعلنى اطمئن نوعا ما الى دور الفن فى المستقبل ·

قد يكون فنا جديدا ، وقد تحذف منه اشكال معروفة وتاتى اشكال جديدة · ولكن اعتقد ان الانسان سيظل بحاجة الى النشاط الذى يمنحه المتعة والبصيرة ·

ـ يرتبط الحديث الجزئى فى عالمك الفنى بالأحداث العامة · الا ترى أن هذا يتضمن حسا بمسئولية الفرد ازاء البشرية ؟

ـ الواقع انه توجد علاقة بين اى شخص او اى فعل جزئى وبين العالم ككل ، وبخاصة عالمنا المعاصر الذى تلاشت فيه الحدود المكانية والزمانية ٠

على سبيل المثال رأسمالى أمريكى يعمل فى احدى الولايات الامريكية قد يؤثر فى علاقة بين اثنين شبه عرايا فى غابة من غابات أفريقيا ، والعكس لدرجة ما صحيح ٠

وأود أن أضيف هنا أنه لم يأت على الانسانية زمن مثل زماننا يصدق عليه العلاقة الجدلية بين الخلية والجسم الكبير ٠

ـ تلعب المصادفة دورا كبيرا فى أعمالك ٠ فما هو تصورك لامكانياتها ؟

ـ يعرف العمل الفنى فى الحقيقة أكثر من نوع للمصادفة ٠ أولا المصادفة التى تحل مشكلة ، وهذه تستطيع أن تعتبرها ضعفا جوهريا فى العمل ، لأنها فى الواقع لا تحل شيئا ٠ مثال ذلك أن تعرض مشكلة فقر وتحلها بورقة يانصيب ٠ فأنت بهذا الشكل لم تفعل شيئا ٠

لكن توجد مصادفات أخرى ليست عشوائية ، وانما تجىء نتيجة لقانون الاحتمال ، وهى أقرب الى التصور العالمى المعاصر من الحتمية الفنية التى جاءت فيما مضى نتيجة لتصور الحتمية الميكانيكية فى القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ٠

كان العلم حتميا بحتا قبل قانون الاحتمال ، ولذلك انعكس ذلك فى التكنيك الفنى بالحتمية المعروفة تاريخيا ، وهى لا تختلف عن الحتمية القديمة الاغريقية أمام القضاء والقدر مع اختلاف الأسباب والتفسيرات ٠

والعصر الحديث لا يعرف هذه الحتمية ولا تلك ٠ ولكنه ، أيضا ، ينكر المصادفة العفوية أو غير الاحتمالية ٠

ـ ما هى على التحديد مصادر الهامك ؟ وأين تقف بين الواقع الجياش والفكر المحض ؟

ـ استطيع أن أقول باختصار أن مصدر الهامى هو الواقع ٠ بيد أن الواقع محيط بلا حدود ٠ فطبيعى أنى أتأثر فى استلهامى له بضرورات مختلفة ، مثل موقعى منه ، وظروفى الخاصة من بيئية وتعليمية وعائلية ومكانية وزمانية ٠٠٠ الخ ٠٠

اما التفرقة بين الواقع الجياش والفكر فالحقيقة انه فرق ظاهرى ليس الا ، لأن الفكر ما هو الا صـــورة من الواقع الجياش ، والواقع الجياش هو المادة الحية التى تخلق الفكر وغيره · فســواء اســتلهمت عملك من الفكر أو الواقع الجياش مباشرة ، فانت تستلهمه من الواقع أو من الحقيقة · لا انفصال · لا يوجد فكر محض أو واقع جياش محض · حتى أبسط الحياة البدائية الأولى لها انعكاساتها فى فكرها ·

ــ ما الذى يحدد مصائر ابطالك ؟

ــ الحقيقة أن الناقد قد يكون اقدر منى على الاجــابة على هذا السؤال · ولكنى اســتسمحك أن أحول السؤال الى : ماهو الذى يحدد مصائر الانسان ؟

ما يحدد مصائر الانسان تركيبة لايمكن تجزئتها ·· ممكن ان نعبر عنها بالآتى : شخصه فى مجتمعه ، أو المجتمع فى شخصه · فنحن نتاثر بظروف حياتنا وملابساتها وقيمها ، وبوعينا وارادتنا وهى جميعا تؤثر فى مصير الانســـان على نحو من الانحاء فلعلها هى التى تؤثر أيضا فى أبطالى وفى ابطال الكتاب الآخرين ·

ــ ترى ان الحياة الانسانية ماساة فما هى اسباب هذه الماساة ؟

ــ الحياة فى ذاتها حياة فقط · لا ماساة ولا ملهاة · وانما تتحدد صفاتها فى ضوء وعينا · وطبيعى ان تعتبر حياة الانسان صراعا متصلا لتحقيق الذات من خــلال صـــراعه الاجتماعى الذى يعبر عنه بمختلف الفلسفات والديانات والايديولوجيات ، وصراعه أيضامع الكون ، الذى يتمثل فى نفس القيم ·

ولذلك تختلف النظرة ويختلف الحكم · فعندما يتطلع الانسان الى الحياة من مواقف نصر ونهضة تتجلى الحياة بصورة وردية · والعكس صحيح ·

على أنه مهما كانت اســباب التفاؤل فالتفاؤل المطلق لا يخلو من سذاجة · كما أن التشاؤم المطلق مرض ·

ان الحياة تجربة عظيمة ، لا تخلو فى النهاية من تصور ماساوى ، على الأقل ازاء نهايتها بالنسبة للفرد ·

ــ ينتمى بعض انتاجك الى الأدب الاخلاقى ، وبعضه الى الأدب الاجتماعى ، وبعضه الى الأدب الفلسفى · فأين تقف بين هذه الاتجاهات ؟

ـ أحب أن أقول باختصار ان أدبى كأى أدب ينتمى الى الواقع . وان الواقع يزخر بالقيم الاخلاقية والاجتماعية والفلسفية · وانما يتجه الانسان لواحدة دون الأخرى تبعا لرؤيته الخاصة ، أو تبعا لتقدمه فى مراحل العمر ·

والواقع ان هذه كلها متداخلة فأى عمل من الحياة اليومية له جانبه الاخلاقى والاجتماعى والفلسفى ·

ـ ما هو الموقف الأمثل للكاتب من العصر الذى يعيش فيه ؟

ـ الموقف الأمثل للكاتب من العصر الذى يعيش فيه هو أن يعيه بمعنى أن يهضم مكوناته وعناصره وتياراته لكى يحصـــــل على الرؤية العصرية للاشياء ، ويستحق أن ينتمى اليه ، ويلتزم به ، فيصبح ضمن قواه المتقدمة ·

الواقـــع والتصـــور

اذا زرت الاسكندرية فى الصيف ، ومررت على مقهى « بترو » المطل على شاطىء البحر العريض ، ستجد فى مواجهة المدخل ، على اليسار ، كل صباح ، مجموعة من ألمع أدباء مصر ، تقضى الصيف فى الثغر الجميل، فرارا من حر القاهرة الذى لا يحتمل ، وزحامها المتصل صيف شتاء ٠

وسط هؤلاء الأدباء يجلس نجيب محفوظ ، الذى يعد باجماع النقاد من كل الاتجاهات أكفأ من كتب الرواية فى أدبنا العربى ٠

ونجيب محفوظ ، لمن لا يعرفه ، شخصية فى غاية البساطة ، تميل ، مثل أولاد البلد فى مصر ، الى الفكاهة وجياشة بالعواطف ٠ وعلى الرغم من أنه تجاوز الستين ، الا أنه يبدو فى الأربعين ٠ ولعل هذه الحيوية ترجع الى النظام الدقيق الصـــارم الذى يمضى عليه الكاتب الكبير فى حياته ، ولولاه لما تيسر له أن يقدم انتاجه الوفير فى القصة والرواية ٠

وفى بداية اللقاء سألت نجيب محفوظ :

ـ ماذا تقول بشكل عام ازاء تجاهل النقد الأدبى لاعمالك المبكرة ، ثم احتشاده لها بعد ذلك ؟

ـ أولا الفن تعبير وايصال ٠ واذا حرم الكاتب من القارىء والناقد حينا ، فانه يواصل على أمل الوصول اليهما ٠ فاذا وصل فانه يعيش على أمل عدم تضييعهما ٠ غاية ما فى الأمر أن الكاتب الأصيل يود الاحتفاظ بقرائه على شروطه لا على شروطهم ٠ فاذا تعارضا فانه لا يتردد فى التضحية بهم وهو آسف وحزين ٠

ولا يختلف الناقد عن القارىء ، فكلاهما يبدأ بانطباعه الخاص قبولا أو رفضا • غير أن القارىء يكتفي بالرفض فى كلمة ، أما الناقد فيستعين بخبرته وعلمه حتى يصبح قبوله أو رفضه موضوعيا •

– استاذ نجيب : الا يحز فى نفسك أنك ، رغم ذيوع أعمالك فى العالم العربى ، لم تتيسر لك العالمية ؟

– الحقيقة أنت تجرنى الى الكلام فى موضوع لا يهمنى حقيقة • أنا شخصيا حين يترجم لى كتاب أتمنى نجاحه بلا شك • كما أنى ، كأى أديب، أتمنى لو كنت كاتبا عالميا • ولكنى أنا شخصيا أؤمن ايمانا عميقا بأن هدفى الأول والأخير هو الوصول الى قرائى • معنى قرائى أى القراء الذين يمكن أن يستجيبوا الى رؤيتى الفنية • لا يهمنى بعد ذلك أن ينبذنى الجيل الذى يتلوهم ، وان كنت أتمنى الا ينبذنى • كذلك لا يهمنى الا يحس بى أو يستجيب لى قراء العالم ، وان كان من الأفضل لو أنهم استجابوا • فهدفى الأول واضح ، وهدفى الثانى لا يستوقفنى •

– أين يقف انتاجك بين الواقع والتصور ؟

– الواقع نحن نمتلك مخزونا من التجارب والمشـــاعر والافـــكار والمواقف •• الخ ، غير ان واحدة منها تدب فيها الحياة على فجاءة ، وغالبا على ضوء شىء معاصر • تنفعل بشخص ، بعلاقة ، بحدث ، فاذا به يوقظ فى نفسك انفعالا قديما كامنا ، كأنه كان يبحث عن شكل ثم وجده فجـــأة •

أعطيك مثلا : ان رواية « اللص والكلاب » تعبر عن انفعال معين وحين وقعت حوادث سفاح الاسكندرية المشهورة ، حركت على التو هذا الانفعال ، ووجد فيها تشـــكله الفنى المطلوب • ومن هنا تفهم اذن ان المقصود لم يكن السفاح أو قصته ، وانما التعبير عن التجربة الراقدة التى تبحث عن شكل مناسب •

– يتفاوت الكتاب فى ترتيب حاجات الانسان للخبز أو الجنس • فأين تقف هذه الحاجات فى ظنك ؟

– فى الحقيقة ، الانسان يتحرك فى الحياة كفرد بكافة غرائزه مثل الخبز ، الجنس ، البقاء ، وتحقيق الذات ، الانانية والأيثار •• الخ •• كلها دوافع واذا أردنا ترتيبها من حيث القوة ، وعلى الأقل اذا أردنا ان نرتب الجنس والخبز من حيث القوة ، فلا شك أن الخبز أقوى • فنحن لا نستطيع أن نستغنى عن الخبز يوما ، ولكننا نستطيع أن نستغنى عن الجنس أياما أو أسابيع أو أكثر •

– تعرضـــت رواية « الكرنك » لتفاوت بالغ بين المعجبـــين بهـــا والرافضين لها · ذلك انها تعد صيغة مختلفة تماما عن أعمالك السابقة جميعا · فماذا تقول ازاء هذه الصيغة الخاصة ؟

– ينبغى ألا يقدم الفن على التجربة الا بعد فترة هدوء واختمار وتأمل لكى يسيطر عليها · غير أن مواكبة الأحداث تبدو أحيانا ضرورة لا مفر منها · اما للرغبة فى المشـــاركة العملية ، واما لأن الصبر على التجربة يعتبر فى بعض فترات العمر ، عندما يكبر الانسان ، مجازفة غير مأمونة · فلو أننى انتظرت على « الكرنك » فمن كان يضمن لى أن أعطى شهادتى على الأحداث ·

– ماذا وراء قدراتك القوية على الخضوع التام للنظام الدقيق فى حياتك وكتاباتك ؟

– حقا انى أضع وقتا محددا للكتابة · لكن قد يكون الخلق تكون قبل ذلك · فهو تنظيم للعمل وليس ابداعا له · ثم لا تنس أيضا حقيقة أخرى فى الانسان وهو أنه كما أن العادة تحدد له أوقات الطعام والنوم ، فهى قد تحدد له أيضا أوقات الابداع ·

– هل يمكن أن أعرف تصورك لحركة الزمن ؟

– راجع الثلاثية ·

– يتجلى فى انتاجك مفهوم خاص لنهاية الانسان ، يتجاوز كل منطق فما هى رؤيتك النظرية لنهاية الفرد ؟

– للحياة نوعان من النهايات · نهاية تخضع لدرجة كبيرة للعلم والمنطق · فالعلم يستطيع أن يتنبأ عن مصير المجتمع والكون · أما النهاية الأخرى التى تتعذر على المنطق فهى حياة الفرد ·

أنت على المستوى الاجتماعى تستطيع أن تتنبأ عن مستقبل العالم العربى فى المائة السنة المقبلة ، لكن بالنسبة الى مستقبلك كفرد ، فهذا يكون أقـــرب الى الحلم من التنبؤ العـــلمى ، لأنك بعد التخطيط المعقول والتصور المعقول ، قد ينتهى الانسان وهو يبعد ذبابة عن وجهه ·

ـ أود ، فى نهاية هذا اللقاء ، أن أعرف ماذا تقول للكتاب الشبان فى مصر الذين يعانون ازمة فى النشر ؟

ـ اقول لهم كان الله فى عونكم · فانا اعلم أنكم تخزنون فى الادراج روائع · ولكن تخاصمكم المطابع والزمن · غير انى سأذكركم بشىء يبعد عن أنفسكم اليأس ، هو أن آباء لكم من الكتاب قبل ٣٠ أو ٤٠ سنة كانوا فى مثل موقفكم ، وهم الآن يعتبرون كبار الكتاب ، فلا تقنطوا من رحمة الله ·

الحب والموت

أكمل الكاتب المصرى نجيب محفوظ ، فى الحادى عشر من شهر ديسمبر ١٩٧٦ ، خمسة وستين سنة ، قضى ما يزيد عن أربعين سنة منها فى الابداع الخلاق ، الذى يرتبط بالواقع الاجتماعى فى بلاده ، ولكنه يرتفع بعالمه المحلى الزاخر بالمشاكل الى مستوى الهموم الانسانية الشاملة ، سواء بدأت هذه الأعمال الفنية من حياة الناس والأشياء ، أو بدأت من الأفكار والمعانى والانفعالات ، على نحو ما يتجلى فى انتاجه الذى يتجه فيه الى ما وراء الواقع ٠

ونجيب محفوظ شخصية غنية بالوعى والمعرفة عاش فترة طويلة من حياته الأدبية فى الظل ، لا ينال أى تقييم ، ثم غمرته الأضواء دفعة واحدة ٠

ومع هذا ظل يقدم للاجيال الجديدة ، على الدوام ، نموذجا رائعا للكاتب المخلص الذى يكرس حياته للفن وحده ، أيا كان موقف الوسط الثقافى المعاصر ، وظل يعتبر تجربته فى الخلق لا نهاية لها مهما حقق من مكتسبات فكرية وجمالية ٠

والحديث التالى يتناول بعض افكار نجيب محفوظ فى الفن والحياة التى يتالق بها انتاجه فى القصة والرواية ٠

ـ أود فى بداية هذا الحديث عن الفن والحياة أن أسأل : لماذا تعتبر العمل الفنى أصدق فى التعبير عن مؤلفه وكشف أعماقه من مقاله المباشر ؟

ألا ترى أن المقال المباشر الذى يضـــع النقط فوق الحروف يتوجه مباشرة الى مقصده ومن ثم يمكن أن يكون اكثر دقة ؟

ـ المقال المباشر يضـــع النقط فوق الحروف ولكنه فى النهاية ثمرة العقل وحده ، أو ثمرة الوعى ، أما العمل الفنى فثمرة يشترك فى خلقها الوعى وشبه الوعى واللاوعى · فهو أصدق فى التعبير عن أعماق صاحبه ·

خذ مثلا · ممكن أن يقرر أحدهم فى مقال ايمـــانه بتحـــرير المرأة ومساواتها للرجل فى كل الحقوق والواجبات\الخ ·· وممكن أن نطمئن الى صدقه فيما يقرر · غير أن العمل الفنى قد يكشف لنا عن أركان رجعية فيه هو نفسه لا يفطن اليها ، وقد يتمثل ذلك فى نهاية بطلة ، أو فى درجة العطف التى نشعر بها ـ أو بضدها ـ ونحن نتابع حكايتها ·

ـ يستلفت النظر فى رؤيتك للحياة التى يعكسها أدبك حسبك العميق بالتناقض الفادح فى الحياة ، وتقلب الحظوظ بين البشر ، أو ما يمكن أن نصفه بعبث الأقدار · ان أنقى عاطفة فى الحياة ، وهى الحب ، فى رواية « نور القمر » تؤدى بالبطل الى التدهور والتدنى · والانسان الكفء فى أكثر من قصة ورواية تتعثر خطواته أو يهلك ، بينما يتقدم عليه من لا يملك مثل كفاءته · وفى الغارات يموت من يلوذ بالجـــامع ، وينجو من يلوذ بالخمارة · والرصاص الطائش يصيب الأبرياء ·

ما هى منابع هذه الرؤية الموجعة ، وما هى مراميها ؟

ـ أعتقد أن منابعها توجد فى الواقع ، الواقع الانسانى بصفة عامة ، والواقع المحلى بصفة خاصة ، والشواهد لن تعجز من يروم تقصيها ، أما ما نرمى اليه من وراء ذلك ـ ان كان ثمة ما نرمى اليه ـ فهو الاحتجاج ان شئت أو النقد أو حتى مجرد قصة العالم ·

ـ يؤكد أدبك أن مصائر الأفراد متشابكة فى الأرجاء البعيدة ، فما هى الدلالة التى تتطلع اليها مثل هذه الرؤية ؟

ـ لا تنس أننا ابناء زمن قد صار فيه العالم قرية كبيرة واحدة ·

ومثلما تنتشر الموضة فى موسم واحد تنتشر الأفكار والوان السلوك والمصائر ، فى ذات يوم فكر رجل وهو يتنقل ما بين سويسرا وفرنسا فى جمع اليهود فى وطن واحد ، كم أسرة فى الشـــرق العربى فقدت أبناءها نتيجة لهذه الفكرة ؟ ثم لماذا نشأت تلك الفكرة ؟ · لعلك اذا تابعت آثارها ومنابعها أن تحكى قصة العالم من جديد ·

ـ هل ترى أن ثمة تشابها بين اندلاع الحب فى القلب ، وبين الموت المباغت ؟

وهل تعتقد ان المأساة البشرية تمثل فى الحب ـ حين يكون من طرف واحد ـ كما يتمثل فى الموت ؟

ـ الحب قرين الحياة وعدو الموت ، ولكن لأنه يستهلك الانســـان روحيا وماديا فهو يمضى بالانسان نحو الموت وهو لا يدرى · هذا يذكرنى بالحكمة القائلة « كفى بالسلامة داء » ·

ولك أن تعتبر الموت أو الحب من طرف واحد مأساة بشرية ، ولكن لا يجوز أن ينسينا ذلك مآسى الحياة نفسها الناشئة من جهل الانسان وتعصبه وانانيته وسوء أفكاره وأساليبه ·

ـ تقول فى آخر رواياتك المنشورة : « مصيرنا فى الحياة لا تتحكم فيه رغباتنا » · هل معنى هذا أن الارادة الحرة الفعالة للانسان ليس لها فى رأيك قيمة أو ليس لها قيمة كبيرة ، رغم أنها تتجلى أحيانا بكل عناد مهما تكاثرت عليها عوامل الاحباط ؟

ـ للارادة الحرة دور فعال ومؤثر لا يمكن نكرانه أو التقليل من شأنه ، غير أن الارادة لا تعمل فى فراغ ولا بعيدا عن تشابك الارادات الأخرى ·

لذلك لا يكفى أن تكون صاحب ارادة حرة ، وانما عليك أن تكون حكيما أيضا ·

ـ يشف أدبك عن تقدير عميق للحلم والخيال ، باعتبراهما من أقوى الملكات البشرية التى تحطم الاشكال التقليدية للحياة ·

والحلم والخيال ، كما نعلم ، من منابع الفن السيريالى · فهل تعتقد أن فى أدبك عناصر سيريالية ؟

على أن نفس هذا الانتاج يشف كذلك عن رؤية وجودية ترى العالم لامباليا بالانسان ، يبابا ··

— فرق بين الفلسفة والفن :

الفلسفة تنظيم فكرى محدد يمكن وصفه وتحليله ويمكن أن ينطبق هذا الوصف وهذا التحليل على صـــاحبه · بهذا المعنى ممكن أن تكون السيريالية فلسفة ، كما يمكن أن تكون الوجودية فلسفة ·

أما الفن فرؤيته تتكون فى تمهل وعلى مدى طويل معتمـــدة على الوجدان والفكر · والفنان الدرامى بصفة خاصة موضوعى لدرجة ما ، فهو يقدم آخرين من خلال ملابسات وظروف شتى ، لذلك قد تعرض له — كما تعرض لأبطاله — لحظات سيريالية وأخرى وجودية ·

فاذا كانت الفلســفة تحل متناقضـــات الحياة فى نظام ثابت فالفن يضطرب ذهابا وجيئة بين هذه المتناقضات ، وقل أن يثبت على حـــال الا اذا دعم بفكر ثابت ·

— على الــرغم من تنويهك الدائم بقيمـــة العلم والمادية ، الا ان تصويرك للشخصيات التى تمثلها تثير النفور منها ، بخلاف تصـــويرك للشخصيات الدينية التى تمضى فى طريق الروحية ، حيث يلاحظ على هذه الشخصيات سمات الانسانية المتدفقة الحفية ، والنبالة ·

— يتعذر على الحكم على ذلك ، وعن نفسى فانا انسان يضع امله فى القيم الروحية والعلم والعدالة الاجتماعية ·

أكره الانغلاق المادى ·

اكره الخرافة والجهل ·

أكره أى امتياز يناله انسان من غير ذاته وقدرته على خدمة الناس ·

— ذكرت فى ســـنة ١٩٧١ أنك تكتب الرواية دون ان تعرف كيف ستمضى بك ، أو كيف تنتهى · ومثل هذا الموقف الفنى يقفه كتاب الرواية الجديدة فى فرنسا خاصة ·

فهل كنت فى المراحل السابقة تخطط بدقة للرواية ؟ وماذا يعنى هذا التطور ؟

— أجل ، كنت أفكر طويلا فى الرواية قبل كتابتها · كنت أبدأ بعد أن تتبلور فكرتها العامة وشخوصها الرئيسية ومواقفها الهامة ، غير أن التنفيذ كان يأتى دائما بجديد أو يحور ويبدل ويضيف · وهذا المنهج ضرورى فى الروايات الطويلة ذات الشخصيات المتعددة والا انفرط بناء الرواية ·

الطريقة الأخـرى مفيدة عندما يكون الكاتب منفعـلا بالالهام وبلا موضوع محدد • أو عندما ينفذ موضوعا قصيرا ، قصة قصيرة ، قصة قصيرة طويلة ، أو رواية قصيرة مركزة فى بطل أو بطلين ، وفى رأيى أن الكاتب لا يلجأ الى المنهج الأخير الا اذا غامت الرؤية واضطربت الأحوال وانتفى الاستقرار ، فيصبح العمل الفنى كشفا عن مجهول ، لا تعبيرا عن معلوم مستقر •

ـ ترى أن جمال الشعر او العمل الفنى لا يكمن فى عناصره الذاتية، وانما يكمن فى القلب البشرى الذى يتلقاه ، ألا يعنى هذا ان المتلقى يشترك فى خلق العمل الفنى فى كل معايشة له ؟ وانه ، بالتالى ، من الصـــعب التوصل الى قيمة موضوعية للاشياء ؟

ـ جمال الفن يكمن فى الأشياء وفى القلب البشرى معا • له بلاشك معالم موضوعية ، فنحن نستطيع أن نتحدث عن التنوع فى الوحدة ، عن الألوان وموسيقى الألفاظ ، ولكن الحياة لا تنتفض فى تلك المعالم الا بنبض القلب البشرى ، بل ان تلك المعالم لا يخلقها الا نبض القلب البشرى •

ـ أريد أن أعرف منك كيف يتكون الكاتب فى عالمنا المعاصر ، ويتكامل وعيه ، ويصل الى منطقة الشوق والحكمة ؟

ـ يتكون الكاتب ـ بعد تعليمه العام ـ بدراسة فنه الخاص (المسرح مثلا) ولكن دراسته الأدبية يجب أن تشمل اللغة وأدبها شعرا ونثرا ، وأن يمتد مجاله ليشمل التراث والمعاصر •

لا تكفى هذه الدراسة التخصصية ، فمادام الكاتب يعبر عن عصـــر فيجب أن يلم بعصـــــره على قدر اســـــتطاعته ، أن يلم بعلومه واديانه وسياساته واقتصاده وفلسفاته •

ولا يكفى ذلك أيضا فعليه أن يعيش طولا وعرضا وأن يتعامل مع الحياة والناس • وان يتأمل ويتفكر • بذلك كله مجتمعا يقترب من التشوف والحكمة •

ـ ترى بعض الاتجاهات الفكرية أن البطل او الزعيم أو العبقرية تظهر فجأة دون مقدمات ، أى انها استثناء من الطبيعة ، لا تخضع فيه لأى منطق • ولعل كتب عباس محمود العقاد تفصح بجلاء عن ذلك • بينما ترى اتجاهات أخرى أنه ثمرة البيئة والظروف ، فى أبعادها الموضوعية ، وهذا هو الرأى العلمى •

فكيف تنظر الى هذه القضية ؟

ـ العبقرية ثمرة بيئة وظروف وموهبة •

فى السينما المصرية

يرتبط نجيب محفوظ بالسينما المصرية من خلال الافلام العديدة التى اعتمدت على قصصه ورواياته ، ومن خلال السيناريوهات التى اعدها لعدد آخر من الافلام ، بدافع التغلب على نقطة الضعف الاولى فى الفيلم المصرى ، كما ذكر فى اكثر من مكان .

وارتباط أدب نجيب محفوظ بالسـينما يثير اكثر من قضية ، فى مقدمتها مدى سلامة هذا الاتجاه الأدبى ، الذى تنقل فيه السينما الآثار الأدبية ، بدل ان تبتدع مادتها وصيغها التعبيرية من الألف الى الياء .

على أننا اذا سلمنا بشرعية هذا النقل ، تعين علينا أن نتساءل على التو عن القيم الفكرية والفنية التى تهدرها هذه الافلام ، وهى تتكالب على أعمال نجيب محفوظ قبل أن ينتهى نشرها .. أين هى ؟ كيف نحافظ عليها ؟ ما هى الضوابط المحددة ، وما هى الآفاق التى يمكن ارتيادها ؟

عن هذه الأسئلة أجاب نجيب محفوظ :

– يوجد نوعان من المواقف وراء كل نقد ، نوع مثالى وآخـر واقعى ، على ضوء النقد الواقعى الذى يقدر الظروف والملابسات والجمهور فلم يحدث تخريب أبدا لرواياتى فى السينما ، وقد وصلت بذلك الى جمهور طويل عريض من غير القراء ولم تكن قيما مهدرة ، ولكنها كانت قيما مغلفة بالمشهيات المشروعة الا فيما ندر .

– لكن ما السبيل الى الرقى بالفيلم المصـرى ، واتاحة الفرصـة للاتجاهات الطليعية أن تتغلب على الاتجاهات التجارية المسفة ! ؟

– لنرقى بالسينما لابد من :

١ – اعداد الاستديو والاكثار من دور العرض ٠

٢ – حماية منظمة للفيلم المصرى ٠

٣ – تشجيع الافلام الجيدة ماديا وأدبيا ٠

٤ – توفير الحرية لمعالجة الموضوعات الجادة ، أما القطاع العام فعليه أن يتبنى الاتجاهات الطليعية ، ويسهر على المواهب الجديدة ٠

– كيف يمكن أن نتخلص من فوضى الرقابة التى تعوق أحيانا تقديم أعمال جيدة ، أو تعمل فيها مقص التشويه ؟ وما هى المقاييس الموضوعية الرحبة التى يمكن أن تتحرك فى اطارها ؟

– الرقابة ينعكس على سطحها موقف الدولة من الحرية ٠

وهى ضرورية لمنع الاثارة الرخيصة فى الجنس والجريمة ، وما يثير الفتن بين الاديان ٠

ولكنها ينبغى أن تنظر الى الفن فيما عدا ذلك نظرة تقديس وتشجيع ٠ وبذلك يستطيع من خلال المتعة أن يكون المعبر عن المجتمع ، والدافع له فى طريق القيم الرفيعة ٠

– من المقرر منذ سنوات طويلة ان الطريق الصحيح للسينما ان تصوغ أفلامها بأدواتها الفنية ، لا ان توظف هذه الادوات فى نقل أو اقتباس القصص والروايات ٠ الا ترى ان هذا الاتجاه الذى بدأ يتلمس طريقه فى السينما المصرية يمكن أن يتقدم بها ، ويخلصها من كثير من العيوب التى تعانى منها فى أشكالها التقليدية ؟

– مصادر الافكار فى السينما تنحصر فى قسمين رئيسيين :

١ – قصص تؤلف للسينما بأقلام مؤلفين سينمائيين ٠

٢ – قصص مقتبسة من روايات ومسرحيات وقصص قصيرة أدبية ٠ يمتاز النوع الأول بالصلاحية الدقيقة للسينما ولغتها ، وبالمرونة التى تمكنه من مواكبة الاحداث الهامة والاتجاه نحو البيئات الجديدة التى لم تطرق من قبل ، وخدمة الافكار الملحة التى لا تظهر عادة فى الأدب الا بعد حين يقصر أو يطول ٠

هذا النوع يجب أن يشمل ٧٥ فى المائة من الانتاج السينمائى ٠

ولا بأس بعد ذلك من لجوء السـينما الى الأدب قديمه وحديثه ، فالقصة الأدبية تمتاز بعمق أوفر وشخصيات مدروسة بعناية لا تتوفر فى القصة السينمائية ، وهى تثرى السينما ولا تفقرها مادامت تعتمد على ذاتها ومؤلفيها قبل كل شىء ٠

ـ قدمت عقب نكسة ٦٧ مجموعة من قصص العبث واللامعقول ، تجاهلتها السينما ، ربما لأنها تحتاج الى أساليب فنية مبدعة ، تستطيع ان تلم بهذا الشتات ، الذى يتداخل فيه الوهم بالحقيقة والعقل بالعاطفة ٠

ـ لم أحاول تلك المحاولة جريا وراء الجديد ، والا لحاولت الرواية الجديدة أيضا ، ولم احاولها رغبة فى الاندماج فى التراث العالمى ، ولكنى دفعت اليها دفعا ، لأنى غصت فى فترة عبثية من حياتى ، ويبدو اننى خرجت منها والحمد لله ٠

ـ لماذا تكتب ؟

ـ أجد أن أحسن طريقة للاجابة عن هذا السؤال أن أتذكر الأيام التى وجهتنى للكتابة ، فقد نشأت الكتابة كرغبة لا تقاوم مثل رغبة الانسان فى الغذاء أو الشراب ٠

هذا هو الأساس البسيط التاريخى ٠ كل ما تختلف عنه انى كنت أعرف لماذا أشرب أو آكل ،ولكنى لا أعرف ، بمثل هذه القوة من الوضوح، لماذا اكتب ٠ انها رغبة لا تقاوم الى الكتابة لاشباع أشياء مجهولة ٠

تحت تأثير هذه الرغبة كانت الكتابة عبارة عن تقليد أو محاكاة بعض ما أقرأ مما يعجبنى ، سواء كان هذا الذى أعجبنى قصصا بوليسية أو « الأيام » لطه حسين ، أو « العبرات » للمنفلوطى ٠

بعد ذلك دفعتنى نفس الرغبة الى أن أكتب ، بينى وبين نفسى ، أشياء على غير أساس من التقليد ، للتعبير عن شىء انفعلت به ، أو شىء شاهدته ٠

ومع مرور الزمن تنضاف أسباب أخرى تقوى هذه الرغبة وتسدد خطاها ٠ ونحن ننخدع أحيانا فنفسر الرغبة فى الكتابة بهذه الأسـباب الطارئة ، فاذا سألنا سائل : لماذا تكتب ؟ نقول مثلا ٠ لأن عندى رسالة

للاصلاح الاجتماعى أو غيره من الاســـباب ، بينما جميع هذه الاسباب الطارئة لم تكن موجودة حين بدأت الكتابة ٠

معنى هذا أن الكتابة فى نظرى لها دافع حيوى للانسان ، أى لبعض الناس ، قد تحتم على صاحبها هذا النوع من النشاط ٠ وقد يكون فى علم من علوم الانسان ، مثل علم الحياة أو علم النفس ، تفسير ذلك ٠

البقــاء والمصــير

يعبر نجيب محفوظ عن أفكاره ومواقفه فى الحياة والمجتمع خلال رواياته وقصصه ومسرحياته كما يعبر عنها خلال مقالاته وأحاديثه التى تزايد نشرها فى السنين الأخيرة ٠

وفى هذا الحوار مع نجيب محفوظ نلمس ، بمزيد من الجلاء ، بعض هذه الافكار والمواقف التى تتصل بنتاجه أو بالعصر الراهن ، على اعتبار أنها تمثل ، فى البداية والنهاية ، المادة الأساسية التى ينسج منها أعماله الفنية الأصــيلة ، التى ترف بقيم الجمال الخلاقة ، قدر رفيفهــا بالقيم الانسانية ، التى ينتظمها ، دائما ، أكثر من دلالة اجتماعية أو نفسية أى متيافيزيقية ، ويتداخل فيها أكثر من بعد ، يتراوح ما بين الواقعية والرمزية وأكثر من ايحاء بالمعنى ٠

ــ فى بداية هذا اللقاء أود أن تطرح تصورك الخاص للوضع الانسانى فى العصر الحديث ٠

ــ ان من يلقى نظرة شاملة على الأسرة البشرية يجدها أسرة يمزقها التناقض بين التقدم والتأخــر ، الغنى والفقر ، الرأى ونقيضه ، الأمل واليأس ، الحياة والموت ، ولعل مأساتها الأولى أنها مازالت تمارس الحياة على أساس أنها قبائل متناحرة على حين أنها أسرة واحدة لم تعثر بعد على من أو ما يوحدها بحيث تتغلب على متاعبها ، ولا يبقى لها من المتاعب الا المتاعب الوجودية ، متاعب البقاء والمصير والمعنى ٠

ــ عدت فى السنين الأخيرة الى كتابة المقالات ، بعد عشرات السنين من كتابتها فى بداية حياتك الأدبية من سنة ١٩٢٨ الى ١٩٣٦ ٠ فما هى

الضرورة الملحة التى دفعت الى ذلك ، طالما ان انتاجك الفنى يتحمل التعبير عن افكارك النظرية ؟

ــ الحاح المشكلات اليومية ، وعدم الاستقرار ، وعجز الأعمال الفنية الكبيرة عن ملاحقة الامواج المتتابعة من الاحداث والمتاعب · ولما كانت رغبتى الدائمة فى الغوص فى التاريخ لا تقل عن تطلعى أحيانا للقفز خارج أسوار التاريخ ، فاننى لا أجد بدا فى أحوال كثيرة من التعبير المباشر عن طريق المقالة أو الحديث ·

ــ لكل كاتب قضية واحدة أساسية يقف حياته ونتاجه عليها ، وهى ، فى النهاية ، لب فكره وفنه · فهل لك أن تحدد ، أو على الأقل تومىء ، الى هذه القضية ؟ وفى ظل أية ظروف تحددت أبعادها ؟

ــ توجد قضية وربما أكثر من قضية ،وأبعادها تحددت فى الظروف الحضارية التى صاحبتنى من المولد وحتى هذه المرحلة من الحياة ·· ولا شك أن سلسلة رواياتى وقصصى ومقالاتى تكشف عن هذه القضية بأفضل من أى اجابة تتوقعها منى ·

ــ يؤكد انتاجك ، وبتعبير أدق ، لغته ، أنك تنطوى فى صدرك على شاعر لم تستطع الكتابة النثرية أن تجهز عليه ، بل زادته حضورا وتألقا ·· فمن أى الينابيع تكون هذا الشاعر ؟

ــ ان صح ما تقول فلعله تكون من استعداد خاص ، وحب قديم متجدد للشعر والطبيعة ·

ــ ما هو تفسيرك الموضوعى لاتفاق اليمين والوسط واليسار فى مصر خاصة على تقديريك · وهل يمكن لمثل هذا الموقف ان يظل على هذا النحو ، أم تراه عرضة ، بالضرورة ، للتغير تماما ؟ وفى أى اتجاه يتم هذا التغير ؟

ــ ان صح ما تقول فلعل مرجع ذلك الى موضوعيتى التى تمنعنى من جحد أى جانب طيب فى رأى أو انسان ، وربما ، أيضا ، لأننى أحوى عناصر غير منكورة من اليمين والوسط واليسار ·

ولكن لا تنس ان مثل هذا الموقف ان حظى بتقدير الموضوعيين من كل طائفة ، فانه يثير عداوة غير الموضوعيين ، وما أكثرهم · لذلك فنصيبى من السخط يعادل ، على الأقل ، نصيبى من التقدير ·

ـ الى أى مدى ترى أن الفنان ملتزم بالتجريب واقتحـــام الآفاق الجديدة الى مالا نهاية ، وأنه يجب أن يتخطى كل المكتسبات الفنية التى يحققها ، مهما كانت رفيعة القيمة ؟

ـ لا يجوز أن يلتزم الفنان الا بأحساسه ، فهو مرجعه وهو مرشده، وفى ذلك يتركز صدقه واخلاصه ، عليه أن يسمع صوته الداخلى وينفذه دون اعتبار لأى شيء آخر ، فان قال له قف وقف ، وان قال له الى الامام تقدم ، وان قال له الى الوراء تقهقر ·

ـ خيانة المبدأ هى ، من قبل ومن بعد ، خيانة الانسان لنفســه ومقوماته ، وفى « ميرامار » ، فى شخصية « منصور باهى » وعى شديد بما تفضى اليه مثل هذه الخيانة من حطة وحقارة · اذن كيف ترى الضعف البشرى ؟ هل يدان ؟ أم يغفر له ؟

ـ لو أمكن أن أعطى جوابا جاهزا لما كان ثمة معنى للقضـــاء والمحاكم ، فلكل جريمة ظروفها التى يجب تقديرها قبل اصدار الحكم · ومهما يكن من أمر فخيانة المبدأ هى بمثابة التضحية بالجانب الانسانى لحساب الجانب الحيوانى فى الفرد ·

ـ يؤخذ عليك ككاتب روائى أن حوار الشـــخصيات وخواطرها وملاحظاتها وتعليقاتها وخواطرها لا يمكن أن تصدر عنها ، وانما تصدر من جعبة الفنان نجيب محفوظ · ألا ترى أن الروائى يجب أن يتخفى ، ويجعل شخصياته تتحدث بمنطقها ولغتها ؟

ـ للاسلوب الواقعى التزاماته ، ولغيره التزامات أخرى · فالشحاذ مثلا فى رواية واقعية مجرد شحاذ ، وقد يكون فيلسوفا فى رواية تعبيرية أو رمزية · أعتقد أننى ألتزم بالواقعية فى الاعمال الواقعية فى كل شيء عدا اللغة ، وكثيرا ما توحى الفصحى بســـمو وهمى ، مرجعه التركيب اللغوى نفسه ، لا منطق المتحدث ·

أخيرا وليس آخرا لا يجوز الحكم على صدق عمل فنى بشيء خارج عن ذاته ، مثل واقع الحياة مثلا ، فالعالم لايكاد يعرف ذلك منذ تجاوز نظرية أرسطو فى الصدق ومعناه التى قامت قديما على أن الفن تقليد للحياة ·

ـ الى أى مدى يصح القول أنك تتحرك فى رواياتك داخل اطار الايمان الدينى ؟

ـ من قال لا أدرى فقد أفتى ٠

ـ الى أى مدى ترى ان المرأة اقرب الى الطبيعة الخام الرعناء من الرجل ؟

ـ المرأة أقرب الى الطبيعة ، لا الطبيعة الرعناء ٠ أما الطبيعـــة الرعناء فلا يمثلها غالبا الا الرجال ، بدءا من عم فلان الى هتلر ٠

ـ تعود برواية « اخناتون » التى تســـتعد لكتابتها الى التاريخ الفرعونى ، بعد مراحل من رواياتك التاريخية الأولى ٠

فيم يختلف اتجاهك اليوم للتاريخ عن اتجاهك اليه فى بدء حياتك الأدبية ؟

ـ فى البدء كانت الوطنية ٠ أما اليوم فقد اتجهت اليه بدافع انسانى بحت ٠ اخناتون شخصية تاريخية ولكنه معاصر أيضا ولو أنصفت هيئة الأمم لوضعت صورته شعارا لها بوصفه الأب الروحى لمبادئها ، مع فارق واحد ، انها لا تكاد تطبق مبادئها ، أما هو فقد طبقها فى زمانه ودفع غالى الثمن ٠

ـ وماذا تقول عن اتجاهك للمسرح ؟

ـ فى رواياتى الأخيرة كثر الحوار حتى استأثر بها كلية ، فوجدت نفسى على أعتاب المسرح ٠

الواقعيــة الجــديدة

ــ أين تقف الآن بأعمالك الأخيرة من الاتجاهات الحديثة فى الرواية ومن أشكالها التقليدية ؟

ــ انى أمر دائما وابدا بأحوال ومقامات ، وعند كل موقف يملى هو على أسلوب الكتابة ومنهجها ، فانا لا أفرق بين ما يسمى بتقليدى وبين ما يسمى بحديث ، الا فيما يوافق هدفى وموضوعى ٠

ولو سمحت لى ان انقلب ناقدا لمدة دقائق فانى اقول إنى التزم فى أعمالى الأخيرة بنوع من الواقعية المســتفيدة من التجارب الحــديثة ، ولنسمها ان شئت بالواقعية الجديدة ٠

ــ يذهب بعض النقاد الى أن هزيمة ١٩٦٧ انشــبت أظافرها فى موهبتك المتألقة ، وزلزلت كيانك ، ولكنها لم تدخل بك فى منطقة محاسبة النفس ، وانما فى منطقة هجــاء النفس ، على نحو ما عبرت فى رواية « الكرنك » مثلا ٠

وشتان بين المحاسبة المتأملة والهجاء الصارخ ٠

فهل لك أن تلقى ضوءا على هذا الأثر ؟

ــ ليست الكرنك هجاء ولكنها محاسبة للنفس ٠ أما غواة الارهاب فيعدونها هجاء ٠ انى اعتبر هذا الحكم مثالا للتعصب السياسى ، وكيف يفسد الذوق الأدبى ، ويخل بالميزان النقدى ٠

ــ يؤخذ على انتاجك الروائى الذى شجب عيوب النظام المصرى فى عهد عبد الناصر انه انتاج بســيط ، غير متعمق ، يقف عند التحقق

الخارجى ، وان هذه الأعمال اقرب للاعمال السياسية لا الأعمال الفنية الكبيرة ذات القيم الجمالية ٠

فكيف تدافع عن ذلك ؟

ـ اعفنى من الدفاع عن أعمالى ٠ لقد تكونت وانتهت ، وأى بلاغة لا تستطيع ان ترفعها عما تستحق درجة واحدة ، كما ان أى تحيز حزبى لا يمكن أن يخفضها عما تستحق درجة واحدة ٠ فلنترك الأعمال لمصيرها والقراء والزمن ، وحكمها ـ كالعادة ـ يعلو على المحبين والكارهين ٠

ـ على الرغم من أن ثورة ١٩٥٢ لم ترحب بالنشاط السياسى والنقد، الا انها افسحت لك المجال لتقديم اعمالك الروائية النقدية ٠ ولهذا يرى النقاد ان الثورة نظرت اليك كما نظر العهد الملكى الى نجيب الريحانى ٠

ـ يمكن تفسير التيسير الذى وجدته بما يأتى :

١ ـ كان معروفا تماما اننى انتمى للثورة ، وقد قامت ثورة يوليو وحتى اليوم وانا منتم اليها متحمس لها عدو لمن يبغى هدمها ولو كان من رجالها ، كيف لا وقد كنت من يسار الوفد ؟

٢ ـ كتبت ما كتبت والثورة فى عنفوان قوتها فكان تسامحها مع كاتب مخضرم مثلى ـ أو مثل استاذنا الحكيم ـ معقولا ٠

٣ ـ ولا تنس فضل الاستاذ محمد حسنين هيكل فى ذلك ٠

اذن كنت ناقدا ذاتيا وليس رافضا للثورة ، وعلى ذلك فالشبه بينى وبين نجيب الريحانى سليم من حيث انه نقد الحياة فى العهد الملكى بدون ان يرفض اسسها ٠

ـ تصف نظام الحكم فى مصر فى عهد عبد الناصر بانه نظام شمولى، وفى هذا اجحاف للحقيقة ، لأن الساحة الفكرية فى عهد الثورة ضمت فى جنباتها بشكل دائم الثورى والرجعى ، ولم تستطع قوة ان تجهز على الأخرى ٠ هذه هى الحقيقة ٠

ـ الله يسامحك ٠

ـ الاترى ان تركيزك على الشخصيات السلبية التى عاشـــت بعد الثورة ، دون تقديم شخصيات ايجابية ، يدل على تجاهل للواقع المصرى الذى زخر بهذين النموذجين معا ، لا بنموذج واحد ٠

ويترتب على ذلك ان رواياتك تخلو من البطولة أو الموقف البطولى الذى لا تستطيع عين ان تخطىء وجوده ·

– لقد كانت ثورتنا ثورة مبادىء عظيمة ولكن بلا ابطـال ، ولقد تسلمها منذ أول عهدها الانتهازيون ، ولذلك تتابعت هزائمها فى السلم والحرب ·

لذلك تركزت البطولة الحقيقية فى اعدائها ، الشيوعيين والاخوان ، وأنا لم أبخس بطولاتهم فى أكثر رواياتى رغم اننى لست منهم ·

وقد تغير الحال ·· حتى انتهيت بكتابة ملحمة لا حصر لابطالها وهى ملحمة الحرافيش ·

– كانت لديك قبل قيام ثورة ١٩٥٢ أربع روايات ، الا انه بعد قيام الثورة غضضت النظر عنها ، على أساس ان الثورة قالت بالفعل ما أردت أن تقوله بالفن ·

فهل ترى أن هذا صحيح من الوجهة النظرية ؟ هل الفعل يغنى عن الرأى ؟

على انه من الهام لتاريخنا الأدبى وللنقد أيضا ان تذكر ما هى هذه الروايات ؟ ما هى أفكارها الأساسية ؟ والى أى مدى مضيت فيها ؟ وأين هى الآن ؟

– لم تكن روايات ولكن كانت أفكارا ، وكانت تدور حول نقد المجتمع القديم (ما قبل الثورة) · وأنا أومن بان أى نقد لغير الحاضر هو تأييد مقنع · وقد خلقت فى معارضا لا مؤيدا ، ولكل انسان مزاجه · ومن طبعى اننى اذا شعرت بالراحة والانسجام مع الأشياء كففت عن الانتاج ·

– أعلن اللغوى محمد شوقى أمين ، فى حديث عقدته معه ونشر فى جريدة « الأنوار » انه كان ينقح ويعمل قلمه فى أدب محمود تيمور ، الذى كان يدفع بمخطوطاته اليه قبل ان تنشر ، حتى يرتفع بأسلوبها الى مستوى الفصاحة العربية ·

ويؤكد الأديب عباس خضر فى حديث آخر نشر بعد ذلك ان كل ابحاث تيمور اللغوية من تأليف محمد شوقى أمين ·

وستتكشف فى الأيام القادمة فضائح مشابهة تمس أمير الشـعراء أحمد شوقى وعزيز أباظة وابراهيم ناجى ومحمد حسين هيكل ·

فكيف ترى هذه الظاهرة ؟ وماذا تعنى للتاريخ الأدبى ؟

ـ لا أخوض فيما لا أعلم · ولكنى أومن بان اخفاء الحقيقة أيا تكن جريمة لا تغتفر ، كما ان تشويه الحقيقة جريمة أبشع ·

ـ تعيش الثقافة المصرية منذ نكسة ١٩٦٧ فراغا ملحوظا · فكيف يمكن تخطى هذه المرحلة ؟

ـ ان تكن ١٩٦٧ هى السبب فلتكن ١٩٧٣ هى العلاج ·

لكن للفراغ أسبابا أخرى ·

منها الحرية فلم تزل محدودة ·

ومنها مصادرة الفكر اليســـارى على حين أن الفكر مقدس يمينه ويساره ، ولا ينتعش الا بالصراع ·

ومنها عدم رعاية المواهب الجديدة بسياسة منظمة ودائمة ·

ومنها طغيان مراكز القوى الثقافية ·

ومنها فراغ المكتبات من الكتب الثقافية الهامة الموجهة ·

ـ تحاول ان تبرىء ساحة الأدباء الكبار ازاء الأدباء الشباب ، قائلا ان توفيق الحكيم مثلا لا يستطيع ان يطبع ديوانا أو قصـــة لشاب من الأدباء ·

ولكنى أخالفك الرأى ، وأعتقد انك تتفق معى فيه ، لأن تنويها بكاتب جديد من قلمتوفيق الحكيم أو نجيب محفوظ أو لويس عوض ، يمكن أن يلفت اليه أنظار الحركة الثقافية فى الوطن العربى ، ويمهد له الطريق ، وهو ما لا نراه على وجه الاطلاق ·

لهذا أرجو أن تعترف بان كبار الكتاب فى مصر حطموا الجسور بين الأجيال ، واحرقوا السفن ·

ـ هذه هى مهمة النقاد قبل كل شىء ··

اى ناقدـ خاصة الكبار ـ يتجاهل موهبة جديدة فهو مثل من يحسن السباحة ويترك أخا له يغرق بين الأمواج ·

ورغم اننى لست ناقدا فاننى نوهت بكثيرين من الشبان فى مجالى المحدود ، فى احاديثى الصحفية ، والاذاعية ، والتليفزيونية · وفعلت أكثر من ذلك ما وسعنى لنشر أعمالهم أو الحاقهم بوظائف توفر لهم الرزق للاستمرار فى العمل ، وقد اضطررتنى الى ذكر ذلك على رغمى فسامحك الله مرة أخرى ·

الحقيقـة والحـلم

للكاتب المصرى نجيب محفوظ رؤية متكاملة للحياة يشـف عنها انتاج أدبى لايزال يمثل افضل ما بلغته الرواية العربية المعاصرة من قيم فكرية وفنية نابعة من وعى تام بالعصر ٠

وفى هذا اللقاء مع نجيب محفوظ نستطلع جانبا من افكاره ازاء مشكلات العصر ، وازاء بعض القضايا الفنية المتصلة بأعماله ، أو التى اثيرت فى الحياة الثقافية فى مصر فى الآونة الأخيرة ٠

ـ فى بداية هذا اللقاء أرجو أن توضح فيم تتمثل فى نظرك المأساة الانسانية فى العصر الحديث ؟

ـ لم يأت الوقت بعد الذى نتحدث فيه عن مأساة واحدة للانسانية٠ قد يتحقق ذلك عندما تتبلور للأمم وحدة حضارية وسياسية ومسـتوى متقارب من الثقافة والمعيشة ٠

أما اليوم فمتاعب الشمال تدور حول الثراء والوفرة على حين تدور متاعب الجنوب حول الفقر والتأخر ، الى عشرات المشاكل الجزئية مثل مشكلة فلسطين وجنوب أفريقيا وقبرص وكندا ٠٠ الخ ٠٠

وثمة مشكلات تواجه الجميع وتهددهم مثل :

١ ـ الحرب الذرية ٠
٢ ـ الطاقة والمواد الأولية الآخذة فى التناقص ٠
٣ ـ التلوث الجوى ٠
٤ ـ ازدياد عدد السكان بما يفوق طاقة الأرض ٠
٥ ـ حقوق الانسان المنتهكة على نحو أو آخر تبعا للمذاهب المختلفة٠

– تذكر فى بعض أحاديثك أنك فى فترة الصـــباح المبكر مثلا تطرد الأفكار ان انثالت على ذهنك · ويشاع عنك أنك اذا انتهى الموعد المحدد للكتابة فى المساء فانك تقطع على التو تسلسل الأفكار ، وتتوقف عن الكتابة، ولو كان ما كتبت حرف الجر فقط !

أفهم – ان أذنت لى – أن تقدح الزناد لجلب الأفكار لا لطرحها ، واستولادها فى كل وقت ، وتهيئة المناخ النفسى لنموها ، والاستمرار فى الكتابة طالما أنك فىحالة تدفق ·

– لقد وصفت دقتى فى العمل وصفا فكاهيا فلا تصدق كل ما يقال ، ولا اختلاف بيننا فى الرأى على وجه العموم ·

– يتردد فى كثير من رواياتك معنى أن البغى المحترفة أشرف من الذين يشيرون الى رذيلتها ·

فماذا وراء هذه الرؤية ؟

– وراءها نفاق المجتمع كله بكافة طبقـــاته · حتى البغى « غير المحترمة » أصدق من ملايين وملايين من السادة ، فهى على الأقل ترتكب ما ترتكب بدافع الغريزة دون ادعاء لمثل خلقية أو دينية زائفة ·

– على الرغم من أن انتاجك يؤكد عامل الوراثة وســـلامة المبدأ القائل أن « من شابه أباه فما ظلم » ، فقد لزمت الصمت دائما حول الموروث فى شخصيتك من والديك · فهل لك أن تعرف القراء بهما ، خاصة الأب ؟

– الوراثة فى نظرى عامل من عوامل كثيرة تؤثر فى تكوين الشخصية، وكثيرا ما تحدثوا عما ورثه ياسين من أبيه ، متناسين أن ياســـين أخو فهمى !

والوراثة أكثر ما تظهر فى الأمور الطبيعية ، مثلما ورثته فى الصحة والمرض وبعض الخواص اللاصقة بالجهاز العصبى ·

وقد شابهتهما فى أشياء لا أعتقد انها ترجع الى الوراثة بقدر ما ترجع الى البيئة والتقاليد مثل المرح وحب الغناء والوطنية والولع بالآثار والتســـامح ، وأشياء غير حميدة كالولع بالتدخـــين والقناعة المفرطة والانطواء ·

– تتراوح بعض شخصياتك بين أكثر من مســـتوى ودلالة ، مثل شخصية السيد عبد الجواد فى ثلاثية « بين القصرين » ، والجبلاوى فى « أولاد حارتنا» ، وسيد سيد الرحيمى فى « الطريق » ، فهى تبدو أحيانا فى صورة الأب العادى ، وأحيانا فى صورة الاله أو الرب ·

فالى أى مدى تحرص على وجود الكلى الشامل فى الجزء العادى ؟

ــ أرجو أن تدلنى على ذلك من خلال دراسة جديرة بذكائك ٠

ــ هل ترى أن نتائج التجربة الفنية يجب أن تماثل أو تطابق نتائج التجربة العلمية ؟

ــ التجربة العلمية هى الحقيقة الموضوعية فى أنقى صورها ٠

التجربة الفنية هى تجربة انسانية نتيجة لتزاوج الذات بالموضوع ٠

وافادة الفن من العلم تجىء من أن العلم يمد الفنان بالحقائق فيقيم تجربته الذاتية على أسس حقيقية لا خرافية ، ولكن العبرة فى الفن بالذات ورؤيتها ٠

العلم يعطى الحقيقة ٠

الفن يعطى الحلم والأمل ٠

ــ يحاول الدكتور زكى نجيب محمود فى عدد من المقالات أن يثبت اننا نملك ادبا جيدا للشباب ، ولكنهم ــ رغم ذلك ــ لا يملكون رصيدا فكريا ٠

وأعتقد أن هذه معادلة خاطئة من اساسها ٠ ولعلك ــ بصفتك فنانا ممتازا ومفكرا على نفس الدرجة ــ تدحض هذا الرأى ٠

ان الأديب الجيد ــ والانتاج الأدبى الجيد ــ لابد أن يكون صادرا عن مفكر جيد ، أولا ، والا لما سلم له الفن ٠

أطمع أن توافقنى ٠

ــ الفن = موهبة + رؤية للحياة ٠ لذلك يلزمه صقل الموهبة من ناحية ، والثقافة والتجربة من ناحية أخرى ٠

وقد يقنع فنان بالموهبة وصقلها فيكون قصاراه أن يمضى مثل عمر بن أبى ربيعة أو مثل شعراء الموائد والمسامرات والفكاهة ٠

ولكنه لن يبلغ الرؤية المتكاملة الا بالثقافة الشاملة التى تجعله اهلا للتعبير عن عصر حضارى كامل ٠ وفرق كبير بين عمر بن ابى ربيعة وبين ابى العلاء أو المتنبى ٠

وقد ضرب الدكتور زكى نجيب محمود مثلا بشخص معين ولكن حكمه لا ينطبق على جيلنا الحديث بطبيعة الحال ٠ وانى واثق من انه يوجد بين أفراد هذا الجيل من هم أعمق ثقافة واشمل من بعض أفراد جيلنا ٠

الثورة المصرية ما لها وما عليها

دون مقدمة ، لأنه فى غنى عن أى مقدمة ، سألت نجيب محفوظ :

ـ أود أن تحدد للقراء على نحو دقيق ايجابيات ثورة ١٩٥٢ فى مصر وسلبياتها . ماذا أعطت لمصر والمصريين ؟ وماذا أخذت منهم ؟

ـ أعطت الثورة :

١ ـ تركيبا جديدا للطبقات فى مصر رفع من شأن الطبقة الكادحة بصورة حاسمة لأول مرة فى التاريخ ، من مظاهره حق التعليم والعمل ، والدور الممتاز للعمال والفلاحين ، وهو ما لا يمكن أن ينسى .

٢ ـ الاستقلال الاقتصادى لمصر .

٣ ـ اتمام الخطوة الاخيرة فى الاستقلال السياسى .

٤ ـ خلق قيمة جديدة وحيوية فى حياتنا بصورة حاسمة وهى القومية العـــــربية .

٥ ـ التقدمية والتحرير فى الداخل ومؤازرتها فى الخارج .

٦ ـ انجازات اصلاحية خالدة فى الصناعة والزراعة لعل الســـد العالى أكبر رموزها .

ولكنها أخــــذت :

١ ـ النمو الطبيعى الحضارى للشخص المصرى ، اذعزلته فى الواقع عن التفكير والمشاركة الايجابية ، وخلقت منه شخصية سلبية ، واستأصلت كل ايجابية بالعنف والقهر .

٢ ــ الأمن والسلام فتفشى الذعر والضياع والنفاق ٠

٣ ــ الثروة معدودة للبناء بتبديدها فى الحــــرب ، والمنـــاورات السياسية على مستوى العالمين العربى والعالمى ٠

٤ ــ الاستقلال الاقتصادى فأصبحنا نعتمد على الاتحاد السوفيتى وبعض الدول العربية ٠

٥ ــ الاستقلال السياسى اذ حل الاحتلال الاسرائيلى مكان الاحتلال البريطانى ٠

٦ ــ عزة النفس بسبب هزيمة منكرة لا نظير لها فى التاريخ ٠

غير أنى أعتقد أن جميع سلبيات الثورة مما يمكن معالجته مع الزمن ٠ اما ايجابياتها فتمثل أساسا متينا لنهضة آتية لا ريب فيها ٠

ــ اذا ســـلمنا ان ثورة ١٩٥٢ تولت التفكير نيابة عن المثقفــين والشباب ٠ ألا ترى أن ظهور جيل لا يبالى بشىء ، قليل الالتزام بقضايا وطنه ، يعد رد فعل طبيعى لذلك الفراغ الذى نشأ فيه ؟ ٠

ــ أوافقك كل الموافقة ، غير أن اللامبالاة ليست كاملة والدليل على ذلك انتفاضات الطلبة ٠

ــ تعتبر ان مساندة مصر فى حرب اليمن من سقطات الثورة ٠ ألا ترى أن تدعيم الثورة فى أنحاء العالم العربى مسئولية جليلة تحملتها الثورة المصرية ؟ أم أنه يرضيك أنظمة التخلف والعصور الوسطى فى بعض هذه الأقطار ؟ ان الحضارة العربية التى نطمح اليها لن تتحقق الا اذا تحرر العالم العربى من التخلف ، وهذه مسئولية الاقطار المتقدمة ٠

ــ أوافق تماما على أن التخلص من التخلف هو حياة العرب ، ولكن الظرف كان يقتضى منا أشياء :

١ ــ الحرص على الوحدة بين العرب فى نطاق الجامعة العربية ، وبصرف النظر عن أنظمتها السياسية المتناقضة ، وذلك حرصا على التكتل أمام العدو المشترك ٠

٢ ــ كان يجب تشجيع كل حركة تقدمية ، ولكن فى نطاق الواقع والقدرة ، فكان يجب الاعتراف بحكومة السلال ، وامدادها ولو ســــرا بالسلاح ، وأيضا بالمدربين والخبراء ٠

٣ ـ أما التورط فى الحرب فكان جريمة فى حق اقتصادنا ودفاعنا أمام العدو الأول ، خاصة وأنه من المعروف تاريخيا أن اليمن مقبرة للغزاة ، وقد أدرك ذلك الانجليز والترك من قديم ٠

٤ ـ فكان من نتيجة ذلك أننا بدلا من خلق أمة عربية جديدة وقوية وتقدمية كدنا نقضى على أمة قوية وتقدمية (مصر) ثم تعرضنا لأكبر هزيمة فى حياتنا ٠

ـ أريد أن أخالفك وأخالف الاجماع القائل بأن مسئولية نكسة ١٩٦٧ ترجع أيضا الى المثقفين والكتاب ذلك أن نسبة كبيرة من الانتاج الفكرى والأدبى ، كان قبل هذا التاريخ ، نذيرا مسئولا ، وفى مقدمته انتاجك القصصى والروائى ، ولكن أحدا فى السلطة لم يسمع الدعوة للاستبصار ٠ فهل أستطيع أن انتزع منكم اعترافا بتبرئة الكتاب والمثقفين الجادين من المسئولية ؟

ـ مهما قيل عن جبروت الدولة ، مهما قيل عن قلة حيلة المثقفين وغيرهم ، فالمسئولية يجب أن تكون شاملة وان تفاوتت فى الدرجات ٠ الدولة مسئولة عن جبروتها والشعب مسئول عن سلبيته واستسلامه ٠

لماذا لم يلتزم ثوار ١٩١٩ بنفس الموقف ؟ ٠٠ لماذا تحدوا الجيش البريطانى والعرش ؟ وهل كان الانجليز أرحم بنا من مخابرات العهد الماضى ؟ اذن لا مفر من المسئولية ، وهى درس للشعب ليعلم ان ايثار السلامة الى حين يجىء بويلات أفظع ألف مرة من الأخطار التى يتجنبها بايثاره السلامة ٠

ـ تعترف فى حديث نشرته مجلة « الموقف الأدبى » السورية فى اكتوبر ١٩٧١ انك لم تبدأ من الصفر الا فى ثلاثة كتب هى : « تحت المظلة » ، « حكاية بلا بداية ولا نهاية » ، « شهر العسل » ٠

ماذا تعنى بالبداية من الصفر ؟

وهل يمكن للكاتب ان يبدأ من الصفر ؟

ـ عنيت بالبداية من الصفر اننى شرعت فى الكتابة من قبل ان يتبلور « شىء » فى الوعى ، ولكن الفنان ليس صفرا ، انه كل متكامل من المشاعر والافكار، وسواء فكر قبل ان يشرع فى الكتابة أو لم يفكر فالنتيجة ستجىء حتما معبرة عن ذاته ، فالتعبير « بالصفر » نسبى جدا ، وهو لا يعنى أكثر مما قلت ٠

ـ كيف ترى كتاب التيارات التجريبية الذين تضـــعف علاقاتهم بالسياسة والمجتمع ، وتقوى صلتهم بالأعمال الفنية فى ذاتها ؟ ٠

ـ أرى أن الفن « حـــرية » ويجب أن يبقى كذلك ٠ الفنان يلتزم بحرية ، أو لا يلتزم بحرية ، وفى كلتا الحالين يعطى خير ما عنده مما يمتع ويفيد ٠ ليظل الفنان حرا ، وليلتزم اذا شاء وشاءت مواهبه بالسياسة أو غيرها ، أو فليلتزم بالشكل وتجاربه ، وسيجد دائما اناسا يستجيبون له ويشاركونه رؤيته مادام يصور عن صدق فنى حقيقى لا افتعال فيه ولا غرض ٠ وما خير سياسة يخوضها فنان بلا ايمان حقيقى ؟ ٠٠ أو ما خير « شكلية » يغوص فى تجاربها بلا احساس صادق بالضرورة والثورة ؟ !

ـ التطلعات الطبقية تودى بصـــاحبها : معنى يتكرر فى كثير من اعمالك ٠٠ ولكن اعتقد ان تطلع انســـان فقير للرقى الاجتماعى مسألة انسانية لا تفضى ـ فى الحكم الاخلاقى أو الفن ـ لمصرعه ٠

ـ التطلع الى الأفضل مشروع ما التزمت وسائله بالشـرعية والمثل العليا ٠

ونحن اذ نكثر من التطلعات الفاسدة فانما لندل على فساد المجتمع فى بعض الظروف حيث لا يسمح لانسان بحقه فى الحياة الا بوسائل ملتوية تتمشى مع طبيعته الملتوية ٠

ـ ما هى الفروق الجوهرية بين بداياتك الأدبية واعمالك الأخيرة بعد نحو أربعين سنة ؟

ـ ثمة فروق فى الأسلوب الفنى اقتضتها الممارسة والتطور وروح العصر الذى لا تتوقف ابدا ، أما من حيث المضمون فهمومى الفكرية هى هى سواء ما وجد حلا وما لم يجد ٠

ـ تؤكد ان اختيارك للكتب يتم عن طريق كتابات النقاد ٠ الا ترى ان الارادة الحرة فى الاختيار يمكن أن توصل الى نتائج واعمال أرفع قيمة ؟

ـ انها طريقة لاباس بها خاصة فى بدء الطريق ، وتبررها الكثرة المذهلة للمعروض ، ومحدودية العمر والفهم للمعرفة ٠

ـ الفكر المجرد يقتل مادة الحياة الحية ، والحياة الحية مادة يعوزها الشكل والفكر ، فكيف نصل الى فكر حى ، أو حياة مفكرة ؟ كيف نسقط الحواجز بين الفكر والحياة ؟

– الفكر المجرد لا يقتل الحياة ، فهو من صميم الحياة ، وطريقة عقلية للتعبير عن حقيقتها العامة ۰ ولكن الحياة تتجلى فى الجزئيات بخصائص ذاتية تذوب وتختفى عند التفكير المجرد ۰ والحياة الخالصة لا نجدها الا فى الممارسة اليومية ، أما ترجمتها العقلية فلا نجدها الا فى العلم والفلسفة ، وثمة نشاط آخر تندمج فيه الحياة الخالصة بصورة توحى بالشمول فيجمع بطريقته الخالصة بين نبض الحياة ومعناها ، وهو الفن ۰

– يعتبر بعض النقاد الأجانب ان كتابة اليوميات والأبواب الصحفية الثابتة دلالة على التفتيت والتجزئة فى روح العصر ۰ والدليل على ذلك ان هذا اللون من الكتابة عندما يجمع فى كتاب تتجلى ضآلة قيمته ، وارتباطه بالمناسبات التى كتبت فيه ، فضلا عن اعتماده على وجهة النظر الشخصية ۰ الى أى مدى ترى صحة هذا الرأى ، وقد مارست مثل هذه الكتابة الصحفية ؟

– الرأى فى جملته صحيح ، ولكن ذلك لا ينفى ما للمتابعة اليومية من أهمية ، فهى تمثل الحياة فى تولدها واضطراباتها ساعة بعد أخرى ، وهى مشاركة فى المعركة الدائبة ، وهى تكون وتبلور الجزئيات التى يرجع اليها فيما بعد لمعرفة روح العصر ۰ ولكن ذلك لا يعنى أنها تستحق أن تجمع فى كتاب ۰

– على الرغم من تفاوت مستويات شخصياتك الاجتماعية والثقافية والنفسية ، الا أن حوارها لا يختلف بهذا القدر ، بل يثبت فى مستوى معين تعبر عنه لغة عربية فصيحة ، قد لا تتلاءم مطلقا مع الشخصية ۰ كيف ترى هذا الحكم ؟

– انه وهم ينشأ نتيجة لكتابة الحوار بالفصحى ۰ ويلح عليه قوم للتعبير عن عواطف لا علاقة لها بالفن أو النقد ۰ ولقد قرأت بحوثا عن صراعى مع اللغة تثبت عكس ماتقول تماما ، وعندما يتيسر لك الاطلاع عليها – وهى لكتاب عرب وغربيين – ستعرف الفرق بين البحث والهوى ۰

– قرأت سارتر وكامى وهيمنجواى فى الترجمات العربية التى أصدرتها لبنان ۰ ولكن الا ترى ان الفائدة المحصلة من عمل مترجم أقل كثيرا من تلك التى نحصل عليها من قراءة النصوص بلغاتها الأصيلة ؟

– هذا رأى مسلم به ، ولكن قراءة الترجمة خير على أى حال من الجهل بالكاتب كلية ۰

ـ اذا سلمنا ان ثمة تناقضا قائما بين اليمين واليسار فى مصر فكيف تفسر اشتراكهما فى الاحتفاء بك ؟

ـ كان ذلك صادقا فى زمن مضى ، وربما تجد تفسيره فى التزامى بقيم تهم اليمين وأخرى تهم اليسار ٠

أما اليوم فقد تغير الموقف ٠

يوجد عدد من أهل اليمين يصر على مهاجمتى أو اهمالى تقربا من بعض الأدباء ذوى النفوذ ٠

كما يوجد بعض اليساريين ممن يناصبوننى العداء لأنهم يعتبرون هجومى على الارهاب هجوما على الزعيم الراحل عبد الناصر ٠

ـ تعتبر نفسك فى منطقة اعتدال ٠ هل هذا الحكم من قبيل التواضع أم الحقيقة ؟ واذا كان الحقيقة الا ترى ان ثقافتنا العربية بحاجة الى الكاتب المطرف لا المعتدل ؟

ـ ثقافتنا ـ وكل ثقافة ـ فى حاجة الى المتطرف ٠ كما هى فى حاجة الى المعتدل ، بل هى فى حاجة الى الرجعى أيضا ، ومن غير توفر الإطراف الثلاثة لا يقوم الحوار الحقيقى الدافع للتقدم ٠

ـ تحت أى ظروف تاريخية واجتمـــاعية تبلورت مواقفك الفكرية والفنيــــة ؟

ـ اليك ما كون موقفى السياسى والاجتماعى :

١ ـ ثورة ١٩١٩ ٠

٢ ـ سلامة موسى ٠

٣ ـ الوجدان الدينى ٠

ـ حين انتقل « الاهرام » سنة ١٩٦٩ الى مبناه الجديد ، تحدث كتابه عنتجربتهم مع « الاهرام » ٠ ولكنك لزمت الصمت ٠ أليس لديك ما يمكن ان تقوله ، خاصة وانك لم تختبر العمل الصحفى فى الجرائد من قبل ؟

ـ لم ألزم الصمت اذ لم أكن قد التحقت بالاهرام رسميا بعد ٠٠ ويرجع الفضل فى الحاقى « بالاهرام » الى الاستاذ محمد حسنين هيكل ،

وأيضا للاستاذ على حمدى الجمال ، والنشر فى « الاهرام » فرصة طيبة جدا لتوسيع رقعة القراء ، فالمعروف ان قراء « الكتب » قلة بالقياس الى قراء الجريدة ، فما بالك اذا كانت الجريدة هى « الاهرام »و « الاهرام » على عهد الرئيس الراحل ٠

ولا شك أن مضامين رواياتى السياسية كانت مفاجأة « للاهرام » ، فقد مثلت فى فترة حرجة صوتا معارضا، ولاشك انه لولا نفوذ هيكل وقتذاك وقدرته على الاقناع لما اتيح لرواية من تلك الروايات ان تنشر ، وعلى أى حال فقد كنت منتميا لثورة يوليو ، ولم أكن رافضـــا لها بحال من الأحوال ، والمعارضة غير الرفض ٠

وفى ظروف أخرى وجدت ما دفعنى لكتابة التعليقات السياسية ، ولكننى لم أتجه الى احتراف الكتابة فى ذلك الشأن ، ولذلك كففت عنها عائدا بسلام الى انتاجى الأصلى وهو الأدب ، وعما قريب انشر القصص القصيرة وغيرها باذن الله ٠

ـ لأن أدبك شديد الارتباط بحياتك ويعتمد الواقع الخيالى انطلاقا من الواقع الحقيقى ، فانى أعتقد انك لن تحتـــاج الى كتابة مذكرات شخصية ، رغم ما أعلنته سنة ١٩٧٢ من ان كتابة المذكرات تمثل أمنية تتمنى أن تحققها فى يوم من الأيام ٠

ـ الواقع الخيالى غير الواقع الحقيقى ، ومازلت أرى أن تسجيل التجربة الحقيقية جدير بالاهتمام ٠

ـ ماذا صنع لك الكتاب فى مصر ؟ وماذا صنعت لهم ؟

ـ تربيت فى أروع مدرسة أدبية ، مدرسة العقاد وطه والمازنى وهيكل والحكيم ٠

وقدمنى خير تقديم نقاد أفذاذ كمحمد مندور ولويس عوض وسهير القلماوى والعالم وعلىالراعى وشكرى عياد وعباس صالح ورجاء النقاش ولطيفة الزيات وفاطمة موسى ورشـــاد رشدى وادوار الخراط وفتحى رضوان والربيعى وعبد المحسن طه بدر وحســـن عبد الله وثروت أباظة وغيرهم بالاضافة الى المغفور لهما سيد قطب وأنور المعداوى ، وأخيرا وليس آخرا طه حسين العميد ٠

بل انى مدين لرهط من النقاد الشباب مثل عبد الرحمن ابوعوف وفاروق عبد القادر وشمس موسى ، ومعذرة عن النسيان بغير قصد فقد ضعفت الذاكرة مع كر الأيام ·

وماذا صنعت انا ؟

ارجو ان تكون الاجيـــال التالية قد وجدت فى اجتهاداتى منطلقا لأعمالها ضمن منطلقات أخرى شرقية وغربية لا حصر لها ·

- ماذا تمثل ندوة نجيب محفوظ الاسبوعية فى حياتنا الثقافية ؟

- مودة راسخة تجمع جملة من المتناقضات ، تناقضات فى السن ، فى الرأى ، فى الذوق ·· وهى دليل على أن الناس يمكن ان يتلاقوا على خير رغم اختلافاتهم ·

الدافــع الى الكتــابة

فى كازينو الشانزليزيه المطل على البحر فى الاسكندرية ، يجلس نجيب محفوظ كل يوم فى الركن المخصص لتوفيق الحكيم ، من التاسعة صباحا حتى الظهر ٠ فى هذا الركن يتحلق عدد من أدباء الاسكندرية والأقاليم ، الذين لا يتــــاح لهم لقاء نجيب محفوظ أو الحكيم الا فى هذا الوقت من الســـــنة ٠

كما يتردد على الكازينو ، بين حين وحين ، بعض الأدباء والمفكرين المعروفين ، الذين يصادف وجودهم فى الاسكندرية ٠

ونجيب محفوظ ، لمن لا يعرفه ، محدث لبق ، حاضر البديهة ، يجيد الانصات الى الغير ، وعندما يستشف ما يثير الفكاهة تجلجل على التو ضحكته العالية ٠

ويفسر أحد النقاد الذين يعرفون نجيب محفوظ عن كثب بان هذه الضحكة المجلجلة هى بمثابة طوق النجاة الذى ينهى به أى مناقشـــة للقضايا التى تمس المناطق الحساسة ، الخاصة بمواقفه مثلا ، المتسمة بالتوفيقية ٠

ويعد نجيب محفوظ من الكتاب المصريين القلائل الذين لا تفـــرغ جعبتهم ابدا مما يقوله للحركة الثقافية ، دون أن يهبط عن المستوى العالى فى الفكر الذى يعرف به ٠

ورغم هذا التدفق المتصل فى العطاء ، الذى يتمثل فى ابداعه الفنى الغزير ، فقد تعرض نجيب محفوظ ، أكثر من مرة ، للصمت المطبق ، عجز

خلالها عن الكتابة ، او عدم القدرة على التعبير بالكلمة ، واعتقد حينذاك بان قلمه توقف الى الأبد ·

وهذه ظاهرة متكررة فى ثقافتنا المصرية الحديثة ، تعرض لها عدد كبير من الكتاب ، لعل أشهرهم عادل كامل ، ولكنهم توقفوا تماما عن الانتاج ، ولم يستطيعوا ، مثلما فعل نجيب محفوظ ، ان يستأنفوا تجربة التعبير من جديد ·

حول هذه الظاهرة ، ظاهرة التوقف عن الكتابة ، كان سؤالى الأول لنجيب محفوظ ، فى هذا اللقاء الذى عقدته معه ، وان لم أتمكن من اتمامه بسبب تكاثر الأدباء والفضوليين من حولنا ، بدرجة كان من الصعب معها ان يتواصل أى نقاش ·

استغرق نجيب محفوظ لحظات فى التأمل ، لكى يسترجع تجربته مع الصمت ، ثم تحول الى ببصره قائلا ، ردا على السؤال :

– اصابنى هذا الداء مرتين ، مرة سنة ١٩٥٢ ، بعد أن إنتهيت من كتابة ثلاثية « بين القصرين » و « السكرية » و « قصر الشوق » · ومرة ثانية عقب نكسة ١٩٦٧ ، وكان الموقف فى الحالتين متناقضا ·

ففى الحالة الأولى كان لدى موضوعات جاهزة للكتابة ، اذكر منها موضوعا عن حى العتبة الخضراء بالقاهرة ، الزاخر بالحركة ، من الساعة الخامسة مساء ، الى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى ، وكان المفقود الدافع للكتابة ·

اما فى الحالة الثانية ، فلم يكن لدى أى موضوع أو فكرة ، وكان لدى دافع لا يقاوم للكتابة ·

ولاحظ ان نتيجة الموقف الأول كان عدم الكتابة مطلقا ، زهاء خمس سنوات · أما فى الحالة الثانية فانتجت موضوعات عديدة ، جمعت فى «شهر العسل » ، و « تحت المظلة » ، و « حكاية بلا بداية ولا نهاية » ·

وردا على السؤال اذكر انى كنت أحاول تفسير ما حدث بما يتراءى لى ، من غير أى يقين · كان من الأسباب التى فسرت بها الحالة الأولى ان الثورة المصرية التى قامت فى ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ حققت كثيرا من احلامنا أول ما جاءت ، وان تحقيق الاحلام بالنسبة الى الكاتب يزهده فى الكتابة ·

هذا كان تفسيرى · ولكن هل هو حقيقى ؟ انا الآن اشك فى هذا التفسير ، الذى لا يزيد عن أن يكون تلمسا للسبب ، لأن الواقع قد يناهض هذا التفسير ·

هل لأن مجتمعا باليا فى مصر كان يزول بفعل الثورة ، وهذا المجتمع هو الذى كنت انقده ، وبعد زواله وجدت ان النقد مثل عدمه ؟

الحقيقة ان هذه كلها اجتهادات شخصية · ولكن الواقع هو ما قلته لك · فى عام ١٩٥٢ فقدان دافع الكتابة ، وفى ١٩٦٧ فقدان الموضوع ·

ـ كيف تنظر الى كاتب أو انسان بلا موقف ، والى طراز آخر قادر دائما على اعتلاء الامواج ، والى طراز ثالث يمسك بالجمر ، دفاعا عن معتقداته ، باعتبارها ثلاثة نماذج نجدها فى رواياتك ؟

ـ النموذج الأول لا أكاد أتصور وجوده ، لأن كل انسان لابد أن يكون له موقف ، سواء شعر به أم لا ·

الثانى ما هو الا رجل انتهازى ، يستوى فى ذلك ان يكون كاتبا ، أو موظفا ، أو سياسيا ·

والطراز الثالث يمثل أصحاب العقائد · ولا شك أنهم طائفة ممتازة من البشـــــر ·

ـ بحكم أن رواياتك وقصصك تنصب على الطبقة الوسطى ، كيف تنظر الى هذه الطبقة ؟ ما هى ايجابياتها ؟ وما هى سلبياتها ؟

ـ الطبقة الوسطى معروف مكانها بين الطبقات · انها تمثل القوة الوسطى بين الطبقة الغنية أو الرأسمالية أو الاقطاعية ، حســـبما كان المجتمع ، من جهة ، ومن جهة أخرى طبقة الشعب ·

والطبقة الوسطى الحقيقية لا يتهمها الا الماركسيون · ولكنها فى ذاتها وبحكم موقعها ، تظل على صلة بما فوقها ومن تحتها · فنستطيع أن نقول انها أوعى طبقات المجتمع بالمجتمع · يعنى الارستقراطى لا يعرف مجتمعه، كذلك الفرد العادى من الشعب لا يعرف المجتمع ، كما يعرفه واحد من الطبقة الوسطى ·

وهذه الطبقة بحكم هذا تستطيع ان تعرف المزايا والعيوب للطبقة التى فوقها ، وللطبقة التى تحتها · ومن هذه الطبقة تخرج جميع الآراء

والمعتقدات التوفيقية التى تكون أقرب للانسانية منها للطبقية ، لأنها تمثل وتعبر عن المجتمع كله ، من هو فوق ، وتحت ، ووسط ·

وأعطيك مثلا منها من الأديان · ففى ديانات الشرق الأوسط واحد ارستقراطى ، هو اخناتون ، لكنه من البشر · انما الديانات الانسانية التى شملت كل البشر بشرت بها البورجوازية الصغيرة ، ممثلة فى واحد تاجر وواحد نجار · ولذلك كان محمد والمسيح فى تفكيرهما انسانيين ، ولم يكن الله فى المسيحية والاسلام طبقيا ، مثل اله اسرائيل ، الذى كان الههم يعتبر شعبه شعب الله المختار ·

والطبقة الوسطى ، وحدها ، هى التى تخرج منها أعظم الأفكار وأكثرها انسانية ، وهى ، فى اعتقادى ، أقدر الطبقات على تحقيق السلام والتقدم الاجتماعى ، دون اجهاض ، أو دون تضحية بالطبقات الأخرى ·

ـ ماهو مفهومك النظرى للبطل فى الرواية ؟

ـ كلمة بطل تعنى مباشرة الشخصية الأساسية فى الرواية · ولكن مفهومها تغير على مدى التاريخ ، كان الابطال فى الأعمال الفنية القديمة يملكون قوة عقلية وجسدية فائقة ، فهم ، مثل شجعان السينما ، رجال ممتازون ، يجسدون معنى البطولة كقوة خارقة ·

ومع دخول الديمقراطية والاشتراكية تغير هذا المفهوم ، وأصبحت البطولة لا تدل على شىء من المعنى القديم ، وحل محلها أشخاص الرواية العاديين ·

وتقتصر البطولة الآن على الأدب الاشتراكى ، الذى يتضمن دائما دعوة تتصل بالواقع غالبا ، ولعلها تقترب من المعنى القديم ·

ولكن الأدب الحديث عموما يعتمد فى غالبه على التحليل ، لا على البطولة بالمعنى الأول ، الذى انتهى تماما ·

ـ ما هو ، فى رأيك ، المعنى الحقيقى للازدهار الثقافى ؟

ـ المجال الثقافى يتكون من منتج ، ومتلق ، ووسيلة · وعلى ذلك فالازدهار الثقافى يعنى نشاطا فى الانتاج ، وتوافرا فى الوسيلة ، ووجودا غزيرا ، كما وكيفا ، للمتلقى ·

ـ تصف الكتابة النقدية بانها عمل علمى ، يسانده الابداع الشخصى · فهل لك أن تشرح هذه العبارة ؟

ـ تبدأ العملية النقدية عند الناقد ، كما تبدأ عند القارىء العادى . بالاطلاع ، ثم الاستجابة أو النفور · فهى عملية ذاتية بحتة ، ثم يأتى النقد كعلم وخبرة وممارسة ، فيجسد الشعور الأول بالقبول أو الرفض بطريقة علمية منهجية موضوعية ، فهو ، فى جوهره ، ذاتى ، كالابداع الفنى ، ولكنه يتقدم للناس عادة فى ثوب موضوعى علمى ·

ـ بعد نحو أربعين سنة من الانتاج المتصل ، ما الذى تعتقد أنك وفقت الى اضافته للأدب العربى والفكر العربى ؟

ـ لقد بدأت الكتابة سنة ١٩٢٩ ، أى منذ خمسين سنة · وطوال هذه المدة وأنا فى حالة انتاج ان صح هذا التعبير ·

أما تقييم هذا الانتاج فشىء بطبيعة الحال لم أفكر فيه ، ولم احلله، ولا هو مطلوب منى أساسا ·

غاية ما فى الأمر ان لدى احساسا عاما غامضا بانى قدمت للفن الروائى شيئا ما يضاف الى تاريخه ·

فى حضارة العصر

يشكل العلم فى معتقدات نجيب محفوظ قيمة أساسية لا ترتفع عليها قيمة أخرى • ويمكن للقارىء ان يتصور مدى هم هذا الكاتب حين يجد نفسه دائر فى فلك الأدب ، فلك القصة والرواية ، لا يستطيع منها فكاكا، بينما يتوطد يوما بعد يوم الايمان بالعلم فى ضميره وضمير العصر باعتباره السبيل الوحيد لتحقيق الحضارة على الأرض •

على أن ثمة قضايا أخرى تتنازع نجيب محفوظ تعد فروعا من هذا الموقف الأساسى، أو حاشية على المتن، تجدها متناثرة بدرجات متفاوتة من الوضوح والغموض فى أعماله الابداعية • وقد يفصح عنها بجلاء أو يمسها من بعيد فى أحاديثه التى يدلى بها للصحفيين والكتاب فى مصر وانحاء العالم العربى •

من هذه القضايا قضية الصراع القائم بين الماديات والروحانيات ، وغلبة الأولى على الثانية ، أو انحسار الروحانيات امام مد الماديات ، والصراع المتصل بين العقل والحدس ، وسيطرة الحدس أحيانا بعلة وجود حقائق لا تذعن للبرهان العقلى وحده ، ولا مندوحة أمامه من الاهتداء بهذا الحدس أو القلب ، ولكن دون خضوع تام له أو نفى الوعى والادراك •

والى هذا التراوح بين عناصر متنافرة بطبيعتها يرجع بحث نجيب محفوظ عن وحدة جدلية بين العلم والدين ، بين النزعة المادية البحتة والنزعة الروحية البحتة ، تنهض على نحو من التوازن بحيث لا تطغى فيها واحدة على الأخرى •

ومثل هذا البحث يدفع الى التساؤل الى أى مدى يرى نجيب محفوظ امكان تحقيق هذه الوحدة ؟

فى اللقاء التالى الذى عقدته مع نجيب محفوظ قبل سـفره الى الاسكندرية التى تعود أن يقضى فيها شهور الصيف ، يفكر ويتأمل على شاطىء البحر ، يقول مؤكدا هذا الامكان :

ـ لقد حدثت هذه الوحدة فى التاريخ · انها تتجلى أوضح ما تكون فى الاسلام وفى الثورة المسيحية التى بدأت بالبروتستانتية ، ثم بالتعديلات التى ادخلتها الكاثوليكية على نفسها بعد ذلك ·

ذلك ان المسيحية كانت روحية خالصة ، ثم جاءت البروتستانتية مثلما فعلت البورجوازية الصغيرة فى ثورتها ضد الاقطاع ، وعدلت من مفاهيمها اشياء باتجاه الواقع العملى ·

وهكذا ترى ان لا تناقض اطلاقا بين العلم والايمان ، بل ان العلم لا يستطيع أن يكون فى خدمة البشرية بدون ايمان ·

ولو أن علماء العصر الحديث كانوا عبر التاريخ صادقين فى الايمان بقدر ما كانوا علماء صادقين لما سمعت عن أى انتاج مدمر أو مخرب للعلم بل كانوا رفضوه ·

ـ طالما انك عدت فى العقد الماضى وهذا العقد الى كتابة المقال الذى يطرح أفكارك النظرية ، فلماذا لم تجمع ما يقرب من خمسين مقالة نشرت فى المجلات فى الثلاثينات والأربعينات لكي نتعرف على تطورك الفكرى ؟

ـ مقالاتى القديمة مقالات طالب فلسفة ، وقد تقدم التاليف الفلسفى بعد ذلك تقدما يغنى عنها كلية ·

ـ تتناول فى أعمالك الفنية الاحداث التافهة أو العابرة فى الحياة بنفس الدرجة من الاهتمام التى تتناول بها الاحداث الحاسمة الجسام · فالصغائر والجلائل ترد بنفس الأسلوب والمساحة ، فهل يعنى هذا ـ عند المتلقى ـ انك تقف وقفة واحدة ازاءهما فى الواقع ؟

ـ صدقنى أن أى حادثة تتصل بالانسان لا يمكن ان تتصف بالتفاهة ، فقد يكون لقاء عارضا أهم فى حياة شخص من حدث جليل ·

ـ يعتبر تقلب الحظوظ فى الدنيا بدرجة ترفع الاوغاد وتنزل بالشرفاء من المعانى الأساسية فى انتاجك ، ان الوطنيين يلاقون حتفهم برصاص الانجليز ، والأنقياء القلب ، بينما يدبر الوصوليون أمورهم بشكل جيد ويتبوأون أعلى المناصب ·

ما هى مصادر هذه الفكرة ؟

ـ مصادر هذه الفكرة الواقع · عندما خلت الحياة من القيم ، وعبدت المادة والنجاح بأى ثمن ، فاز الاوغاد ، وتراجع الأمناء ·

العـدالة الاجتماعيـة
والحريـة الفرديـة

لايزال نجيب محفوظ الى اليوم ، على الرغم من اقترابه من سـن السبعين ، يتبوأ مكانه المرتفع فى الرواية العربية ، بفضل عطائه المتجدد منذ الأربعينات ، الذى يرتبط دائما بالحياة والواقع ، أيا كان الموقع الذى يقف فيه ما بين اليمين واليسار ، أو بين الاتباع والثورة ٠

ويرجع هذا الارتباط ، أساسا ، الى مفهوم نجيب محفوظ للثقافة ، الذى يعبر عنه بجلاء فى بعض أعماله الفنية ، كما يعبر عنه فى الأحاديث العديدة التى يدلى بها ٠

وخلاصة هذا المفهوم أن الثقافة الحقة هى معرفة النفس بفطنة ، ومعرفة الناس ، أيضا ، بنفس الفطنة ، ومعرفة الأشياء والعلاقات التى تحكمها ليس بالعقل وحده ـ فالعقل عنده لا يعطى الاجابة الشافية ـ وانما بالعقل والقلب معا ، طلبا للحقيقة الموضوعية الكاملة ، التى يتطلع اليها كل انسان ٠

الا أن هذه الحقيقة لا تعد ، فى عرفه ، أداة قاطعة للتنبؤ بالمســار التالى كله ، كما تقول الحتمية التاريخية ، بسبب اختلاف الملابسات التى يمكن أن تفضى الى نتائج مناهضة لكل منطق ٠

وأحاديث نجيب محفوظ تتسم عادة بالحذر ، وبالوقوف دائما فى منطقة محددة بالنسبة لتفسير أعماله خاصة ٠٠ منطقة لا يتجاوزها بحال، حتى لا يغلق باب الاجتهاد أمام القراء والنقاد لاستشفاف تفاسير ورؤى أخرى ، توسع من آفاق انتاجه ، وقد لا تكون خطرت بباله ٠

حسبه أن يضــع النقط على الحروف حيال القضـــايا المثارة على المستوى الفنى والفكرى ٠

وهذا الحديث مع نجيب محفوظ محاولة لتلمس بعض المعالم فى تجاربه الابداعية ، من خلال فكره النظرى ، أنقله لكم كما أملاه على فى مكتبه بجريدة « الاهرام » ، الذى لا يذهب اليه الا يوم الخميس فقط ، بحكم النظام الدقيق الصارم الذى يتبعه فى حياته ، ولا يخرج عنه مطلقا ٠

ــ يواجه كل كاتب مجموعة من التحديات الفكرية والفنية ٠ ما هى ابرز هذه التحـــديات التى واجهتها ؟ والى أى مدى ترى انك وفقت الى حلهـــــا ؟

ــ التحديات الفنية كثيرة ومستمرة ٠ منها على سبيل المثال تطويع اللغة للقصة ٠ وهذا التحدى بدأ يوم بدأت الكتابة ، ومايزال مستمرا ٠ منها أيضا اطلاع الانسان على تكنيك أو تكنيكات جديدة تبهر بجديتها ٠

ولكن الكاتب مطالب بألا يقع فى حبائل الابهار دون قيد أو شرط ٠ وانما مطالب بأن يجعل من مضمون العمل الفنى وشكله وحدة لا تتجزأ ، وأن يعلى الأصالة على أى شىء آخر ٠

أما عن تحديات الفكر فهى تطالب الكاتب بالصدق والشجاعة الأدبية ٠ وبسبب التزامنا بالصدق صودرت لى فى مصر رواية على الأقل هى « أولاد حارتنا » ، واقتربت أقرب ما أكون الى الخطر فى رواية أخرى هى « ثرثرة فوق النيل » ٠

ــ ينطلق كل كاتب من معتقدات معينة ، ويتحرك بيقين ما ٠

ما هى هذه المعتقدات بالنسبة اليك ؟

وما هو هذا اليقين ؟

ــ لعل خير جواب أن أحيلك الى كتبى ٠

ولكن ان أردت أن أجتهد معك فثمة قيم تلازمنى منذ الصبا ، مثل : العدالة الاجتماعية ، والحرية الفردية ، والتطلع الى الحقائق العليا ٠

ــ الا تؤدى الحرية الفردية التى تذكرها قبل التطلع الى الحقائق العليا الى العربدة والتحلل من أى التزام ؟

ـ قد تؤدى فى السلوك الى العربدة ، ولكنها فى الفكر تؤدى الى الحقيقة ٠

ـ من هم أعداؤك فى الحياة والمجتمع ؟

ومن هم أصدقاؤك ؟

ـ على المستوى الشخصى لا أعرف لى أعداء ٠

أما الخصومات الفكرية فربما عادانى الماركسيون الارثوذوكس ، والمسلمون الارثوذوكس ٠

ـ من المعانى الايجابية الصريحة التى تؤكدها رواياتك أن المشكلة الفردية لا حل لها الا بالحل الاجتماعى الشامل ٠

هل يمكن أن تلقى ضوءا على ذلك ؟

ـ لا يمكن أن أتكلم عن الفرد الا اذا عنى ذلك فرد فى مجتمع ٠ فالحل الفردى ، حتى اذا نجح لا يصلح أن يكون قاعدة ٠ والحل الفردى لا يكون حلا الا ان صلح لجميع الناس ٠ فيجب أن يكون اجتماعيا ٠

ـ فى ظل أى ظروف وأحداث تشكل واكتمل وعيك بالواقع والعصر ؟

ـ الحقيقة هى ظروف كثيرة ٠ فالوعى يبدأ تربيته فى الأسرة ، ثم المدرسة ، ثم المؤسسات الاجتماعية فضلا عن الثقافة الشخصية ٠

لكن توجد أحداث كبرى تؤثر فى ذلك كله ، أذكر منها على سبيل المثال ثورة سنة ١٩١٩ ، وثورة سنة ١٩٥٢ ، والحرب العظمى الثانية ، وحروبنا مع اسرائيل ٠

ـ ما الذى يصنع ، فى رأيك ، مجد الكاتب ؟

أولا : موهبة ٠

ثانيا : اجتهاد مستمر ٠

ثالثا : وهو لا يقل أهمية عن الاثنين ، جمهور مؤهل ٠

رابعا : نقاد ٠

ـ فى نهاية ثلاثية « بين القصرين » تصف الشك بأنه نوع من الهروب كالتصوف ٠

واسمح لى أن أرى أن ليس كل شك ، بالضرورة ، هروبا ٠

هنالك شك نابع من الادراك العميق بجدل الحياة ، وبأن الفكر ليس فقط « ابيض وأسود » ، وانما هو ألوان الطيف التى لا تبين بالتحديد ٠

ـ كلامك صحيح بدرجة كبيرة ٠ ولكنك تقصد غالبا الشك الذى يبدأ به التفكير الايجابى كشك ديكارت ٠

ولكن هنالك شك يطلب لذاته ، كأنه متعة من المتع ، دون بذل همة لتخطيه ، وهذا بلا شك هروب ٠

ـ بحكم أنك أكثر الأدباء فى بلادنا التزاما بالنظام فى الحياة ٠ كيف ترى الطراز المناقض لك : طراز الصعاليك البوهيميين ، الذين يعيشون حياة هرجلة ، ويكتبون فى أى لحظة من النهار أو الليل ؟

ألا ترى أن هذا الطراز الأخير أشيع فى تاريخ الفن والفنانين ؟

ـ انظر ياسيدى ٠

بعض الكائنات تسبح فى الماء ٠

وبعضها يطير ٠

وبعضها يمشى على قدمين أو اكثر ٠

وكل مؤهل لما خلق له ٠ والعبرة بالنتائج ٠

ـ هل يمكن أن تذكر للقراء شيئا عن والديك ؟

وما الذى تعتقد انك ورثته عنهما فى التكوين النفسى والعقلى ؟

ـ هذا سؤال ذاتى جدا ، على حين أن الأسئلة كلها تتصل بالأعمال الأدبية أو الفكر ٠ فأرجو أن تؤجله الى حديث آخر يكون متفقا معه ٠

ـ لاحظ الكاتب الالمانى فريتش شـــتيبات ، فىدراسة عن « أولاد حارتنا » ، أن ايمانك بالعقل والعلم قد بلغ بك فى الرواية الى التطلع الى مقاومة الموت ، من أجل حياة أفضل ٠

الى أى مدى ترى حقا امكان التغلب على الموت ؟

ـ لعل الانسان بحالته الراهنة لا يستحق الخلود فى هذه الأرض ٠

أما عن المستقبل فجميع الاحتمالات موجودة ٠

وعلى كل حال ممكن أن نكون تغلبنا على الموت بالموت ٠

ـ لأنك بدأت الكتابة بتقليد المنفلوطى وطه حسين ، أود أن أسألك : كيف تراهما الآن ؟

وما الذى سيبقى منهما فى المستقبل ؟

ـ سيعيش المنفلوطى فى جميع من أثر فيهم ٠

وسيبقى من طه حسين ثورته الفكرية ، وشجاعته الأدبية ، وكثير من أعماله الأدبية خالدة ٠ وأثره الباقى فى عصره كله ٠

ـ تهتم فى كثير من قصصك ورواياتك بتصوير المعارك بين الأفراد ٠ انها لوح فنية أخاذة للنزال ، مثيرة للانفعال ، يمارس فيها الأقوياء من الفتوات وغيرهم قوتهم سـواء أحرزوا النصـر ، أو منوا بالهـزيمة السـاحقة ٠

ماذا وراء هذا الهيام بالمعارك ؟ هل لأنه يضع الحياة على حافة الهاوية ، ويشحذ كل الملكات والقدرات ؟

ـ المعارك فى رواياتى ضرورية لأنها تعكس الصـراع بين الخير والشر ، وهو جوهر الحياة ٠

ـ اذا كان هذا الصراع بين الخير والشر هو جوهر الحياة ، فكيف تنظر الى تاريخ البشرية ؟ فى أى اتجاه سار ؟ وأى هدف يرمى اليه ؟

ـ الشىء الواضح فى مسار البشرية الذى لا شك فيه هو تقدمها العلمى ، ونتائجه المادية والنفسية ٠

أما الذى يختفى أحيانا ، ولعله أهم من التقدم العلمى والمادى ، فهو تقدمها الروحى ٠

واذا لم تهتد الانسانية الى التقدم الروحى ستكون التجربة البشرية كلها عبثا ٠

ولا أعتقد أنها خلقت للعبث ٠

جوهـر الصراع
فى المشكلات الانسانية

وضع نجيب محفوظ اللمسات الأخيرة لعمل روائى جديد عنوانه « ما بعد العشق » ، وذلك قبل أن يبدأ اجازته السنوية المختارة التى يتوقف خلالها كلية عن القراءة والكتابة ، بسبب مرض الحساسية الذى يعانى منه صيفا فى العينين والجلد منذ سنة ١٩٣٥ ٠

وتمتد هذه الأجازة عادة من أول مايو حتى آخر سبتمبر ٠ وهذه الفترة يقضيها دائما فى مدينة الاسكندرية ٠

وكان قد صدر لنجيب محفوظ ، فى الآونة الأخيرة ، رواية « عصر الحب » وقبلها بقليل « الحب فوق هضبة الهرم » و « الشيطان يعظ » ٠

ويلاحظ من هذه العناوين أن تجارب الحب تكاد تستأثر باهتمام نجيب محفوظ ٠ الا أن هذه التجارب ، فى أدبه ، ليست غربة عن الواقع ، أو استغراقا فى الذات بمعزل عن الحياة ، هربا الى الفراديس المفقودة ، وانما هى جزء حميم من هذا الواقع ، وبعد من أبعاده ، يفصح بأجلى بيان عن الكل ، لأنه يخضع بالضرورة للشروط الاجتماعية السـائدة ، ويعتريه ما يعترى الحيـاة الاجتماعية من مد وجزر ، أو من ايجابيات وسلبيات ٠

ولو أننا طالعنا بعمق أدب نجيب محفوظ ، سنجد أنه يعبر ، بأمانة وصدق ، عن عدد من الأزمات المعاصرة ، على أكثر من مستوى ، لعل أكثرها وضوحا ـ بعد أزمة الحب فى المجتمع الطبقى ـ تلك الأزمة أو الصراع العنيف بين العلم والفن ٠ ففى رأيه أن العلم يسحب البساط من

الفن ، لأنه يتضمن لذة الشعر ، ونشوة الدين ، وطموح الفلسفة ، فى آن واحد ٠

ولا جدال أن الوعى بهذه المشاكل ينبع ، بادىء ذى بدء من الادراك الشامل للواقع ، والالتصاق الحميم به ٠ كما أنه يومىء الى تلمس شعاع الضوء الحقيقى ، الذى يجعل الكاتب يرتفع فى بعض رواياته الى مصاف المؤرخين ، أو يتجه فى بعضها الآخر اتجاها عبثيا ، بكل ما يتسم به العبث من سخف الأحاسيس ، وتناقض الأفكار ٠

من هنا رأيت استطلاع رأى نجيب محفوظ حول مشكلات العصر ، فى اطار النظامين الأساسيين : الرأسمالية والاشتراكية ، فى هذه المرحلة التى تتفاقم فيها المعارف الانسانية على حساب الجانب الروحى ، ويبدو فيها من المستحيل التوفيق بينهما دون التضحية بأحدهما ٠

يتأمل نجيب محفوظ السؤال وهو مطرق شيئا ، ثم يستجمع أفكاره، ولا يلبث أن يلتفت الى قائلا بكلمات قاطعة :

ـ الصراع بين النظامين يشكل مشكلة هامة بلا شك ٠ وكان من الممكن أن تكون نتائجه وبالا ٠ ولكن جدت مشكلات يمكن أن تســـميها مشكلات انسانية تلحق النظامين معا ، ربما تؤثر فى جوهر الصراع ، وتدعو الى التقارب الذى يحتمه الدفاع عن النفس ، مثل تلويث البيئة ، مثل الصراع بين الأغنياء والفقراء ، مثل التدهور فى مخزون العناصر الأساسية ، وغزو الفضاء ٠

والشىء الذى يجعلنا نتفاءل هو أن العالم الديمقراطى يتخذ الكثير من الوسائل الاشتراكية ، وأن العالم الاشتراكى ينزع نحو حرية العقيدة والديمقراطية ٠

ـ الى أى مدى ترى سلامة ما يقوله بعض نقادك من أنك ابتداء من رواية « الشحاذ » دخلت مرحلة الشك واليأس الكامل من امكان صلاح العالم ؟

ـ ارجع الى ملحمة « الحرافيش » وما بعدها ، تجد أننى أميل الى التفاؤل أكثر وأكثر ٠

ـ يقول الكاتب المصرى محمد عفيفى فى مقال نشر بمجلة « آخر ساعة » فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ أنك كاتب « بلا موقف فكرى معين ، يصور ما هو كائن دون أن يتحدث عما يجب أن يكون · وهو يدير المحاورات عن الاشتراكية والنيتشوية على ألسنة شخصياته ، دون أن نعرف ان كان هو اشتراكيا أو نيتشويا » ·

وأعتقد أن هذا الحكم فيه ظلم بين لك ، لأن ادبك يحتوى على قيم فكرية تنبع من ايمانك الوطيد بالقيم الانسانية ، فضلا عن انه يبرأ أيضا من التناقض ، ويمكن تلخيص هذه القيم ، كما استخلصتها من انتاجك ، واسترشادا بفكرك النظرى ، فى الايمان بالديمقراطية ، والاشـــتراكية ، والعلم ·

ـ أوافق على ما قلت ، لا على ماقال الأخ العزيز محمد عفيفى ·

ـ فى تصويرك للأب ، كأصل للعائلة ، ملامح الرب دائما · فهل هذا هو تصورك للأبوة · مع التسليم بسلامة المنطق والتصور ؟

ـ ثمة علاقة وثيقة بين الربوبية والأبوة · فملاحظتك ملاحظة دقيقة وفى محلها · ولكن لا ينسحب ذلك بطبيعة الحال على جميع الروايات ·

ـ حين تكتب عن الحارة والعلاقات بين الناس ، أصحاب المصالح المتناقضة أو الذين يضربون فى المتاهة ، يبدو جليا انك تضع نصب عينيك المدينة بأسرها ، أو الدولة ، وربما البشرية فى مسيرتها منذ آدم وحواء ·

كما أنه لا يخفى مطلقا استئناسك بالأساطير المختلفة ، ان لم يكن ترسمك لأحداثها ، مثل أسطورة أوديب فى « حكاية بلا بداية ولا نهاية » ·

ماذا وراء هذا التعدد فى الأبعاد والمقاييس والمستويات ؟

ـ كتبت عن الحارة كحارة · وكتبت عن الحارة كوطن · وكتبت عن الحارة كالوطن الأكبر أو البشرية ·

فالحارة بحبى لها جعلت منها مدخلى الى أى تعبير · وقد أخطأ البعض فظن أننى أكرر نفسى ··

ـ لأن عناوين رواياتك وقصصك تتراوح بين أكثر من اتجاه ، فى

مقدمتها أسماء الأمكنة ، فما الذى تحرص عليه فى اختيار هذه العناوين ، وما الذى تتجنبه ؟

ـ عادة يلاحظ الانسان فى العنوان علاقة ما بينه وبين الرواية ،

فهو اما مكانها ، أو رمز لها ، أو معنى من معانيها ٠

ـ باعتبارك أكبر الروائيين المصريين المعاصـــرين ٠ ألا ترى انك تنكبت الطريق حين اشتغلت بالصـحافة ، وكتبت المقالات القصـــيرة ، ومارست كتابة السيناريوهات ٠٠٠ الخ ٠

ـ باعتبارى أكبر الروائيين سنا لا أجد فى ذلك تنكبا ولا ضررا ، فهى أشياء كلها متكاملة ٠

وأنت تعلم أن كثيرين يجمعون بين الابداع والنقد ، أو حتى بين الأدب والعلم ، وان كنت من أنصار التخصص ، ولم أتنكبه الا مضطرا ٠

ـ هل يعنى هذا النظام الصارم الذى تخضع له فى حياتك ، بما فيها أوقات الكتابة اليومية ، عبر فصول السنة ، أنك قادر على التحكم فى لحظات الابداع ؟

ـ انى لا أتحكم فى لحظـــات الابداع ، ولكنى اخـــدمها على قدر المستطاع ٠ فالدقة فى خدمة الابداع ، وليست فرضا عليه ٠

مشاعر واحـــلام

وافق الحادى عشر من شهر ديسمبر ١٩٨٠ عيد ميلاد نجيب محفوظ التاسع والستين ، فقد ولد فى حى الجمالية بالقاهرة فى مثل هذا اليوم سنة ١٩١١ ·

وبهذه المناسبة التقيت بالكاتب الكبير ، وأجريت معه هذا الحديث الذي بدأ بوصف مشاعره وهو يدخل عامه السبعين ، ثم تطرق الى حياته الخاصة ، والى عدد من القضايا المتصلة بأدب نجيب محفوظ ، مثل قضية العلم والدين ، والتفاؤل والتشاؤم ، وغيرها ··

ـ هل يمكن أن تصف للقراء مشاعرك وأحلامك فى يوم عيد ميلادك التاسع والستين ؟

ـ احمد الله على أن متعنى بعمر فيه طول ولا يخلو من غرض ، وأساله أن يسعدنى باجماع العرب على الوفاق ، وان اختلفوا فى الآراء ·

ـ هل يمكن ان ابدى رأيا فى حياتك الشخصية ، باعتبارك من معالم الثقافة المصرية ، وخلاصة هذا الرأى أنى لا أفهم أن كاتبا اشتراكيا مثلك يرتبط فى حياته بصداقة وثيقة مع كتاب غير اشتراكيين ، يناهضون الأفكار والمبادىء التى يؤمن بها ، ويكافح من أجلها ·

فهل لديك ما يفسر ذلك ؟

ـ لى أصدقاء من الدينيين والماركسيين والاقطاعيين ، وبينى وبين الكثيرين منهم علاقات انسانية لا تؤثر بحال فى رؤيتى السـياسية أو

الاجتماعية ، وكثيرا ما نختلف ، وكثيرا ما يصفوا لنا الجو ويطيب بعيدا عن الاختلاف ، ولا أجد فى ذلك غرابة ولا شذوذا .

ـ على الرغم من ايمانك العظيم بالعلم ، الا انك تتحرك فى كتاباتك داخل الايمان الدينى المحض ، الذى يرى ـ على سبيل المثال فى رواية « الطريق » ـ أن الله خلق الانسان على صورته ..

المهم ، كيف توفق بين المعتقدين ؟

ـ العلم خير وسيلة لمعرفة الحياة وتغييرها الى افضـــــل ، انه وسيلة لمعرفة الحقائق واختراع حقائق جديدة .

وكيف نهتدى الى معرفة مالا يتعرض العلم لبحثه لعدم خضوعه لمنهجه ؟

اذن فنحن فى حاجة الى معرفة من نوع آخر ، نهتدى بها الى القيم التى نتعامل بها ، والى استشفاف ما وراء حياتنا القصيرة .

اذن لا تناقض بين الدين والعلم ، ولا غنى للعلم عن الدين .

ـ ماذا يمكن للروائى العربى المعاصر أن يأخذ من تراثنا الأدبى القديم ؟

ـ تراثنا الأدبى شعر ونثر .

والشعر العربى أعظم من النثر بما لا يقاس ، واذا صفيناه من « الاعلام » يبقى لنا كم هائل يعبر عن النفس البشـــرية فى ســـرورها وأحزانها ، سموها وتدنيها ، مثلها العليا وعبثها ، تأملاتها وفكرها .

أما النثر فمنه أعمال قليلة قيمة مثل الف ليلة ، ورسالة الغفران ، وحى بن يقظان ، والبخلاء ، وكليلة ودمنة . ومنه رسائل ونوادر تعطى ثروة فى اللغة ، ولا شىء يذكر الى جانب ذلك .

وأنا أتكلم هنا عن الأدب بمعناه الخاص ، لا معناه العام الذى يدخل فيه الدين والتصوف والفلسفة والتاريخ .

ـ تشف بعض أعمالك عن تفاؤل وطيد يجعل مجرد بقاء الانسان

حيا ، رغم تحطم كل شىء ، نعمة كبرى ، بينما تشـــف بعض الأعمال الأخرى عن تشاؤم حقيقى لا شبهة فيه ٠

فما هى العناصر التى تشكل أو تحكم نظرتك بين التفاؤل والتشاؤم ؟

ـ التشاؤم الحقيقى هو رؤية للحياة خاصة تراها شرا خالصـــا لا معنى لها ولا أمل فيها ، وأن خير ما يفعله الانسان ازاءها الرفض او الانتحار ٠

فهو غير عرض الشر وانت بسبيل نقده او تحليل اسبابه ، فهذا يتضمن فى الوقت نفسه أملا فى التغلب عليه بقهر أسبابه ٠ من ذلك أيضا ـ فى الفن ـ النهاية المفجعة التى تدعو القارىء أو المشاهد للايجابية والتمرد أو الثورة من غير خطابة ولا شعارات ٠ وقد تكون النهاية السعيدة نوعا من التخدير للتوافق مع الواقع ٠ اذن علينا ان نفرق بين الأدب الحزين ، والأدب المتشـــائم ، والأدب المتفائل الســـطحى الذى قد يكون افيونا للشعوب ! ٠

المـرأة والحيـاة

تشغل المرأة حيزا كبيرا فى أدب نجيب محفوظ . وتتنوع صور هذه المرأة بتنوع أدوارها . فهى الأم التى تتحمل فى صبر وصـــمت من أجل أبنائها . وهى الزوجة الوفية التى تعامل زوجها كنصف اله . وهى . أيضا ، الأخت ، والحبيبة ، والعشيقة ، والزميلة ، والبغى ..

على انها ، فى معظم هذه الأدوار ، لا تعدو الدور المنوط بها فى الحياة ، كما يتصوره نجيب محفوظ كرجل شرقى ، يدرك أن زمام المبادرة فى يد الرجل دائما ، وان المرأة لا تتحرك الا على استيحاء شديد ، غاينه أن تستجيب للرجل .

فى هذا الحديث نتعرف على وجهة نظر هذا الكاتب الكبير فى حواء ، مبتدئين بتحديد دورها فى أدبه ، ثم نعرج الى عدد من القضايا الأخرى .

ـ ما هو ، على التحديد ، دور المرأة فى حياتك وأدبك ؟

ـ لعله يتجاوز اى تحديد ، فهى من عناصره الدائمة لأنه لا يمكن تصور حياة تخلو من امرأة . لذلك تلعب دورا فى كل رواية أو قصة ، وهى وراء بذرة المؤلف بما هى مربية ومرشدة ، وهى محركة قلب المؤلف بالحب والالهام ، وهى السعادة التى يحلم بها وراء كل نظام .

ولعل أحفل ساعات المؤلف بالنشاط والتجلى هى تلك التى يعمـــل فيها وهو عاشق ، أو وهو قائم فى ذكرى عشـــق ، أو وهو متطلع الى عشـــق .

وثمة عديد من الشعراء والكتاب تحددت مصائرهم الفنية على ضوء علاقاتهم الحميمة بامهاتهم أو اخواتهم أو زوجاتهم أو محبوباتهم ، ولاعجب فحب المرأة هو المدخل لحب الحياة وما وراء الحياة ، والأدب من هذه الناحية ما هو الا مناجاة طويلة ذات ألوان تنكرية للمرأة ٠

ــ يلصق بحواء تهمة أو صفة الرعونة والتمرد والنشوز ، أكثر من التصاق هذه الصفة بالرجل ٠

ولا أدل على ذلك من أنها كانت المحرض لسقوط آدم ٠

فهل ترى أن هذه الصفات تنطبق عليها بعدل ؟

ــ حواء لم تحرض آدم على السقوط لرعونتها أو تمردها ، فالحق انها غرر بها قبل أن تغرر به ، وخدعت قبل أن تخدعه ، والشيطان لجأ اليها لعلمه بأن تأثيرها على آدم أقوى من تأثيره هو والا ما احتاج اليها، ولكنه ــ الشيطان ــ كان يعلم أيضا أن مفاتن الحياة تفتنها، وأن قلبها مغرم بالنعيم ٠ اذن الشيطان استغل نقطة ضـــعف المرأة وهى حبها للحياة الواعدة ، كما استغل نقطة ضعف الرجل وهى استعداده لاغراء المرأة ٠

المرأة بعد ذلك ــ مثل الرجل ــ عرضة لكافة الصـــفات الحســنة والسيئة تبعا لظروف البيئة والتربية والثقافة ، وان تميزت بالعواطف المهيمنة على الأمومة والبيت وعملت على توفيرها فى الرجل بكل ما يتأتى له من قوة وتأثير ، من أجل ذلك تبدو ــ على السطح فقط ــ كأنها رعناء متمردة محبة للحياة الدنيا أكثر مما ينبغى ، وحتى هذه العواطف الخاصة تختفى رويدا بعد أن تساوت المرأة مع الرجل فى العلم والعمل والسعى المشترك لدعم الأسرة ٠

ــ ماهى ، فى تصورك ، أهم المكتسبات التى حققتها المرأة العربية فى القرن العشرين ؟ وما الذى يتعين عليها أن تجاهد من أجل تحقيقه ؟

ــ كسبت المرأة العربية حق التعليم والعمل ، وتأهلت لجميع الأعمال من أبسطها الى الوزارة ، اذن قد فازت بنور المعرفة ، والمشاركة فى الحياة العامة ، كما فازت باستقلالها الاقتصادى فتحررت من تبعية الحاجة ٠

أما الذى عليها أن تجاهد من أجل تحقيقه فهو تغيير الآراء الموروثة عنها التى تشيع فى البيئة وتتوارثها الأجيال ، وهذه الآراء لا تقتلع الا بما تقدمه المرأة نفسها من جدية فى عملها واخلاص فى أدائها وتفوق فى

خدمتها العامة وما تتحصن به من خلق قويم ورأى سديد وسلوك طيب ، وهى أن نجحت فى ذلك فان مشكلات أخرى مثل تعدد الزوجات والطلاق تحل نفسها بنفسها وبأيسر الطرق ، خاصة وان الدين لا يحرص على تعدد فى الزواج ولا على استهتار فى الطلاق . ان تحـــرر المرأة ربعه فى القانون وثلاثة أرباعه فى يد المرأة نفسها .

- هل تعتقد أن الجيل الجديد من الفتيات العربيات يفرقن جيدا ، فى هذا العصر ، بين التحرر والعبث ؟

- العبث هو أول خطوة بعد التحرر كرد فعل للكبت ، كرد فعل للنظرة التقليدية للمرأة كمادة للمتعة يجب أن تصان لصاحبها أو مالكها ، فالفتاة المتحررة تتوهم انها لا تكون حرة حقا الا اذا صنعت ما تشاء فى هذه النقطة بالذات . ثم يعقب ذلك التوازن ، والادراك الحقيقى للحرية باعتبارها أمانة ومسئولية ، ويصطبغ السلوك بلون البيئة المعينة وتقاليدها السليمة ويسلم الفرد من العقد .

من اجل ذلك تبدو معركة التحرر وكأنها تجرى أساسا حول الحرية الجنسية أو حول العبث ، وهى قطعا ليست كذلك ، انها معركة فى سبيل انقاذ نصف البشـرية من العبودية وضمه بكل جدارة لحســـاب العقل والوجدان والسلوك فى أسمى مراتبها ..

- ما هو تعريفك للفن العظيم وللفنان العظيم ؟ ولماذا لم يتوفر فى التاريخ البشرى فنانات على نفس مستوى الرجال ، وبنفس الكم العددى ؟

- الفن العظيم يبدأ من أشياء قريبة مثل التعبير الجميل والصياغة المنغومة المناسبة ، وينتهى برؤية شاملة ، قد تشمل موضوعا ، قد تشمل عصرا ، قد تشمل الحياة كلها ، فالفن العظيم يقوم على الجمال والعمق والشمول .

واذا ألقينا نظرة عامة على النشاط الانسانى فى الفن والعلم سنلحظ ندرة العبقريات النسائية . ولكن يجب ألا ننسى أن الرجل يقوم بالعبء منذ القدم ، وأن المرأة لم تدخل المجال الا حديثا ، وحتى فى الحديث فهى كأم لا تستطيع أن تتفرغ للعمل مثل الرجل ، وسوف يشهد المستقبل عبقريات نســـائية أكثر .

- لماذا تظهر المرأة البغى فى أدبك أزخر بالانســـانية والعطف من النساء المحتشمات ؟

ـ هذا الحكم لا يقوم على استقراء دقيق ، أكثر ما يمكن أن يقال أن البغى فى كثير من الأحايين ـ فى أدبى ـ تزخر بعواطف انسانية ٠ و لاغرابة فى ذلك فالبغى فى النهاية انسانة ، بل هى انسانة مطحونة بالألم والهوان رغم جميع المظاهر ، وهو وضع يتمخض أحيانا عن أنفس حاقدة ، وأحيانا عن أنفس غاية فى الأسى والانسانية ٠

وثمة سؤال آخر لماذا أختار البغى أحيانا من النوع الثانى ؟ ٠٠ ربما لأضاعف الادانة لبعض النماذج الرفيعة الشأن فى مركزها الاجتماعى وتدنيها الأخلاقى أو السياسى ، هذا هو ما يستخلص عندما نضع جنبا لجنب امرأة سامية أو رجل كبير المقام مدنس السيرة الى جانب بغى تزخر بالعواطف الانسانية ٠

ـ كيف تنظر الى المرأة كأنثى ، وكزوجة ، وكعشيقة ، وكأم ، وكابنة؟

ـ الأنثى ـ مثل الشعار الجميل الذى يدعونا الى الدخول فى الحياة ٠ الزوجة ـ مثل الحقيقة بكل جوانبها السارة والمؤلمة ٠ العشيقة ـ الجانب السار من الحقيقة ولكن بلا جدية ٠ الأم ـ المأوى أو الحب الخالص ٠

الابنة ـ أحبها لذاتها وتحبنى لذاتها ٠

ـ على الرغم من أن زواج زهرة الفلاحة فى رواية « ميرامار » من بائع الجرائد الفقير ، كان بمثابة طوق النجاة لها من الفساد الذى يتربص بها ، فى العمل فى البنسيون ، الا أنك تعود وتذكر أن هذا الزواج لم يحقق لها أشواقها الملحة فى الأعماق ، وانما ظلت حياتها تعانى من الهموم العادية ٠

والموقف المحير المستخلص من أدبك أن التطلع الطبقى يودى بالانسان على حين أن التمسك بنفس الطبقة يشيع الرماد فى النفس ٠

اذن ما هو الحل ؟ أين الباب المفتوح ؟

ـ الحل فى تغيير المجتمع نفسه ٠

تؤكد كثير من قصصك التى ترصد المفارقات الصارخة فى الحياة والمجتمع أن « عبث الأقدار » ليس عنوانا لرواية مبكرة فقط ، ولكنه معنى من المعانى الأساسية التى تجعل من ينتظر الموت مثلا ، تحت تأثير المرض والرعب ، يحيا ويستأنف الوجود ، بينما يموت من يضج بالحياة والأمن ٠ كذلك يموت من يحتمى بالمسجد ، على حين ينجو من يحتمى بالخمارة ، وهكذا ٠٠

– العبث يشيع فى كافة جزئيات الحياة ، وهو يستعمل الصحة والمرض ، الغنى والفقر ، الارتفاع والانخفاض ، الربح والخسارة ، الحياة والموت · بل تابع أى حياة متكاملة وهى تمتلىء رويدا رويدا كالاناء ثم تفرغ رويدا رويدا حتى تصير لا شىء وكأنها لم تكن !

وكل انسان يشعر بالعبث على نحو ما ، وجربه بطريقة أو بأخرى ، ولكنه لا يود أن يسلم به ، انه يتغلب عليه بالايمان ، بالعلم وعقلانيته ، بالفلسفة ومنطقها ، انه يبحث دائما عن المعقول ويدعمه ويربط به حياته هربا من الغول المخيف المنتشر فى كل مكان : العبث ·· وما الحضارة كلها الا جهد متواصل يحارب به الانسان العبث ··

– فيم يتمثل ، فى تقديرك ، الفرح الانسانى ؟

وفيم تتمثل المأساة البشرية ؟

– يتمثل الفرح الانسانى فى الحب ، وتحقيق الذات ، فى جمال الطبيعة والفن ، فى صنع الجميل والخير ، فى انتصارات العلم واكتشافات الحقائق ، فى الايمان ··

تتمثل المأساة البشرية فى الكراهية والتعصب والحقد والطمع والجهل والاستغلال والاستبداد ، فى الأمراض والكوارث ، فى الموت ·

– يشكل الجنس فى أدبك قوة طاغية ، تكتسح كل ما أمامها ·· فهل يعنى ذلك أن الجنس – كما يقول الفرويديون – هو الذى يحرك البشر ؟

– ما يحرك البشر لا ينحصر فى قوة واحدة ·· الطعام أهم من الجنس ، ولا تفكير فى الجنس لجائع أو مهدد بالجوع ·· ثم يجيىء الطموح ، وتحقيق الذات ، والسياسة · وكلما شبع جانب فى الانسان برز فيه جانب لم يشبع · واذا شبع فى كل شىء ظل جانب لا يشبع أبدا الا بالموت ، وهو الشوق الى الله ·

مشـــاكل الانســـان

يزخر عالم نجيب محفوظ بالشخصيات المتنوعة ، التى تتراوح بين البطولة والخيانة ، فى السلوك الفردى الخاص ، وعلى مستوى المجتمع ٠

وعلى الرغم من أنه ضرب بأعماله المتأخرة فى الرمز ، واللامعقول، والعبث ٠٠ الا أن خيوطه بالواقعية ، التى تمثلت فى مراحله الأولى ، لم تنقطع ، بل ظلت موصولة ، تخف أحيانا ، وتتضـــــح بجلاء فى أحيان أخرى ٠

كما أن موقفه من قضايا الانسان الأساسية ، وبصفة خاصة قضية الحرية والعدالة ، لم تتغير عبر أعماله القصـــصية والروائية جميعا ، بسبب انطلاق رؤيته من منظور سياسى ٠

ولو أن هذا المنظور هو الذى يثير الخلاف حوله ٠

وأحاديث نجيب محفوظ التى عقدت معه منذ بدأ اســـمه يلمع فى الخمسينات ، فى سماء الحياة الأدبية ، تؤكد هذا الالتزام الفكرى والفنى على حد سواء ٠

ومع هذا ، فان اسم نجيب محفوظ يرد فى بعض الاذاعات العربية ضمن الأسماء التى تتنكب الطريق ، مما يدفع المرء الى استطلاع رأيه ازاء ذلك ، بعد أن كان هناك شبه اجماع على اعتباره من الوجوه المتقدمة فى الثقافة المصرية ٠

يقول نجيب محفوظ ردا على ما يقال ، وفى اطار الحديث عن هموم الواقع العربى الراهن :

- لست سياسيا ، ولم يكن أسهل على من أن أتجنب الخوض فى أى موضوع سياسى ، وفى هذه الحال أعيش كملايين من الناس أردد شعارا وأنطوى على نقيضه وأفوز بالسمعة الطيبة المزعومة · لكننى انســـان يحب الصدق مع نفسه والناس ، لذلك لم أتردد عن اعلان رأيى فى أى وقت عن أى موضوع فى الداخل أو الخارج ، متحملا مسئوليته الكاملة ، وغير مبال الا براحة ضميرى ·

- تهكم عدد من الكتاب فى بلادنا ، فى الآونة الأخيرة ، على شعار لا شىء يعلو على صوت المعركة ، الذى ارتفع فى أعقاب نكسة ١٩٦٧ ·

ولأنك عبرت عن هذا المعنى الايجابى ، وأكدته فى أحاديثك ، كيف تنظر اليه ؟

- تفرض على الأمم نكسات تطالبها بتكريس كل شىء لمعركة الحياة أو الموت · وعند ذاك فلا يجوز أن يعلو صوت على صوت المعركة · ولكن أى أمة مطالبة بالادراك السليم للواقع والمستقبل ، مطالبة بأن تفرق بين التضحية والانتحار ، مطالبة بفهم امكاناتها وتقديم الأهم على المهم عند الضـــــرورة ·

- ما هو فى تقديرك هموم الواقع العربى الراهن ، ومشاكل هذا العصر ؟

- من هموم الواقع العربى التخلف الحضارى ، ولعه يطالبه بكل قرش من ماله وكل ذرة من طاقته ليلحق بالعصر الذى يعيش فيه ، ولكن لسوء الحظ فان هذا الواقع له قضاياه التى تطالبه بأن يكون قويا وأن يوجه الكثير من أمواله وهمته نحو التسليح ·

ومن همومه الكبرى موقفه القلق بين العصر وحضارته من ناحية ، وبين تراثه العظيم الروحى من ناحية أخرى ، وهو موقف يحتاج الى حســـــــم ·

ومن همومه الخلافات الكثيرة بين دوله التى تعوق اجماعه على سياسة موحدة ولا أقول التى تعوق وحدته ·

ومن همومه مشاكل الأقليات الدينية والعنصرية ، وهى مشـــاكل

يجب أن تحل بلا تردد وعلى ضوء حقوق الانسان والكرامة البشـــرية الجديرة بأمة عرفت فى التاريخ بأنها مهبط الوحى الالهى ٠

وأخيرا وليس آخرا فهنا مشـــكلة فلسطين التى يجب أن تواجه بشجاعة وواقعية لخير الجميع ٠

– بحكم أنك تنتمى الى الطبقة الوسطى ، فواضح لمن يتابع سلوكك ومواقفك أنها تتسم بالحرص والحذر والحياد الدقيق ٠٠

فهل ترى خلاف ذلك ؟

– هل اتسم بالحرص والحذر والحياد الدقيق ؟

وهل تتسم الطبقة الوسطى بهذه الصفات ؟

عنى ، هل يتفق مع الصـــــفات المذكورة تاليف « أولاد حارتنا » و « ميرامار » و « ثرثرة فوق النيل » وغيرها فى عصر الارهاب ؟

وهل يتفق مع رأيى فى الموقف السياسى قبل مبادرة الرئيس الذى جر على حملة فى الصحف استمرت ستة أشهر ؟!

أما عن لصق هذه الصفات بالطبقة الوسطى فمن الذى قام بالثورة العرابية ؟

ومن الذى قام بثورة ١٩١٩ ، ومن الذى قام بثورة ١٩٥٢ ؟
حتى الثورات الشيوعية قامت بها الطبقة الوسطى !!

التجارب البشرية

بنى نجيب محفوظ للرواية العربية بناء شامخا ، متعدد الطوابق والواجهات ، يرتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة التى ينتمى اليها ، وبالعصر الذى يوجد فيه ٠

ويرجع هذا الموقف الى معايشته الحميمة للأحداث التى يمر بها الوطن والعالم ٠

بهذا القياس لم تكن أعمال نجيب محفوظ التاريخية التى بدأ بها حياته الروائية فى نهاية الثلاثينات وأوائل الأربعينات (عبث الاقدار ـ رادوبيس ـ كفاح طيبة) رحيلا الى الماضى البعيد ، حيث مصر الفرعونية، وانما كانت استحضارا واعيا للماضى فى الزمن الحاضر ، ورؤيته فى ضوء قضاياه الأساسية ٠

أما رواياته الاجتماعية الواقعية التى تقوم على الوصف والسرد ، وانتهت بالثلاثية الشهيرة ، ثم أعماله الرمزية التى تلاشت فيها التفاصيل بما يتيح تعدد التفاسير ، فانها تؤرخ ، أيضا ، للزمان والمكان الذى كتبت فيه، تصوغ أحداثه ومصيره صياغة شاهد عيان ، يتطلع ، بضمير يقظ ، الى عالم من الكفاية والعدل والحرية ، تبشر به أعماله المبدعة ، سواء اهتمت بالشخصيات كأفراد ، أو اهتمت بهم كرموز لقضايا كلية ٠

فى هذه الأعمال نجد درجة عالية من التكامل تتمثل فى قدرته الفذة على تصوير التفاوت البالغ فى الصفات النفسية والعقلية والذوقية لشخصياته المتنوعة ، جنبا الى جنب وعيه الملحوظ بتضارب المصالح

الاقتصادية فى الحياة الخاصة والعامة ، وتفاوت الحظوظ ، التى تحطم الشرفاء ، وترتفع بالأوغاد ··

ما أقدر تعبيره عن المعاناة البشرية وأيام الشدة ، وأزمات الروح ، والفوضى أو العبث ·

وما أعمق تعبيره فى نفس الوقت عن الايمان الصريح بالعلم والمستقبل والتقدم الحضارى والاستقامة الخلقية ، والترابط الاجتماعى فى مواجهة الطوفان ، وبحثه عن ماهية الوجود والخليقة ، واهتماماته الانسـانية والجمالية ·

وكما نجد عنده الوصف الدقيق المفصل للشخصيات من الخارج ، نجد أسلوب الاستبطان الذاتى ، الذى يتعمق الشخصية من الداخل دون أن يفقد فى الحالين بريق الماس ·

ان ما كتب عن نجيب محفوظ من مقالات وكتب ، وما أدلى به من أحاديث للكتاب والصحفيين فى انحاء الوطن العربى ، يصعب على الحصر ·

ومع هذا فلايزال أدبه قابلا لمزيد من التفاسير النقدية ، واستشفاف الرؤى ، ومايزال نجيب محفوظ ، على ارتفاع السن ، قادرا على تأمل انتاجه ، والحديث عن أفكاره وفنه ·

ـ ما هى ، فى تقديرك ، العوامل التى تحدد العمر الفنى للكتاب ؟

ـ هما فى اعتقادى عاملان ، الأول يتعلق بقدرة الكاتب على الخلق الفنى ،والثانى على وجود قراء له · وهو يتوقف حتما اذا انعدم أحد هذين العاملين أو كليهما معا ·

ـ هل يمكن أن تومىء الى ما كان يثير اهتمامك عبر مراحل العمر، منذ الطفولة حتى الآن ؟

ـ كل ما تستجيب له نفسى من التجارب البشرية التى تحدث لى أو لغيرى أو فى محيطى ، ولعل التجارب السياسية والروحية من أشدها اثارة لى ·

ـ كيف تنظر الى كاتب معاصر لا يقرأ بلغة أجنبية ؟ والى كاتب ارستقراطى يتقيد بمصالح ومفاهيم طبقته ، ويؤلف بوحى الأفكار والقيم الرجعية ؟

- الكاتب المعاصر الذى لا يقرأ لغة أجنبية قد يستعيض عنها بالترجمة والا قضى عليه بضيق النظرة ، والتخلف عن ادراك ما يجرى فى العالم من حوله ٠

أما الكاتب الارستقراطى الملتزم بقيمه فهو كاتب على أى حال أعجبنا أم لم يعجبنا ، ولا يمنعه ذلك من التفوق أيضا فى مجاله الذى لا يعرفه سواه ٠

- كيف يمكن للكاتب أن يهتدى الى نبض أو ايقاع العصر الذى يعيش فيه ، ويحسن ادراك أبعاد قواه المتصارعة ؟

- بفطرته وحدسه ، واذا لم ينجح فى ذلك فقد خرج عن حدود العصر ٠

- كيف تنظرالى الكتاب الذين يقلدون أسلوبك ، وتتردد فى أعمالهم أصداء من انتاجك ؟

- ان تتردد الأصداء فهذا تأثر مشروع وبخاصة قبل أن تتبلور شخصية الكاتب ، ويهتدى الى ذاته ٠

أما التقليد بمعناه الحرفى فلا يغتفر الا لمبتدىء ، ولن يعيش كاتب

تحت راية التقليد سواء اتجه تقليده للغرب أو للتراث ، فالعدو الأول للابداع هو التقليد ٠

- هل تفضل أن يقرأ النقد الأدبى أعمالك على مستوى الحياة الواقعية ، أم على مستوى المعنى الفلسفى ، والابعاد الميتافيزيقية ؟

- المهم أن يقرأ العمل الفنى على أساس ما يعنيه مضمونه وتصوره النقدى ٠

- لولا وجود آدم لما غوته حواء ٠ كما أن استجابته للغواية يجعلهما آدم وحواء ، مشاركين معا ، وبقدر متساو ، فى فعل الأثم ٠

أما القاء تبعة خروج آدم من الجنة على حواء وحدها ، كما فى « أولاد حارتنا » والتراث ، ففكرة غير عادلة ، وفيها ظلم للمرأة ٠

- رأى عادل ، وآدم وحواء استجابا فى النهاية لطبيعتهما ، ولم تخل خطيئتهما من فائدة ، فنتيجة لها عمرت الأرض ونشأت الحضارة ٠

ـ باعتبار ان ميراث الماضى عند شخصياتك يفوق ارتباطهم بالعالم الجديد الذى يتطلعون اليه بعد ثورة ١٩٥٢ ، فان انقاذ شخصية مثل عمر فى « الشحاذ »، تنبع من فكرة نظرية خارجية ، تبدو مفروضة على الرواية خوفا من هزيمة محققة ، يمكن أن تثير التشاؤم فى نفس القارىء ٠

ـ هذه شخصيات مخضرمة ، تم تكوينها قبل الثورة ، فتمثل فيها الصراع بين عهدين ٠

ـ تتحرك بعض قصصك ـ مثل « السماء السابعة » ـ وفق المعتقد الأخلاقى : القاتل يقتل ولو بعد حين ، وبالكيل الذى تكيلون به يكال لكم ٠

ألا ترى أن الفوضى التى حكمت التاريخ ، خاصة فى العصـــور الحديثة ، تجهض ذلك ؟

ـ ربما ولكن من الخير ألا نســـتوحى أحكامنا من فترات انتقال وإنحلال قد تكون عارضة فى تاريخ الحضارة ٠

وأنا قد يناوشنى العبث ، ولكنى أرفض الاستسلام له ٠

ـ رويت ثلاثية « بين القصرين » فى نحو ١٤٠ ألف كلمة ، بينما يرى النقاد انها ـ بحكم بساطتها ـ يمكن أن تروى فى ١٤ ألف كلمة فقط ٠

الى أى مدى ترى امكان ذلك ، دون اخلال بجوهرها ؟

ـ فترة الثلاثية رويت بهذا العدد تبعا لرؤية معينة ٠

فترة أخرى تماثلها فى الطول رويت فى مائتى صفحة فى « الباقى من الزمن ساعة » ولكن برؤية جديدة ومنهج جديد ٠

وأخـــيرا أحيلك الى حكاية أناتول فرانس الذى لخص التاريخ فى ثلاث كلمات ارضاء لعصبية المستمع ، فقال عن البشر : ولدوا وتعذبوا وماتوا ٠٠

ـ تأكيدك على أن الكتابة نشاط غريزى يحدث لذة واشباعا يمكن أن ينفى عنها الوظيفة الاجتماعية والرسالة الانسانية ، التى لا قيمة لهذا النشاط والاشباع دونها ٠٠

لماذا لا تعد الكتابة فعلا اجتماعيا ؟

ـ انما قصدت الحديث عن ماهية الفن فى ذاته ٠ لكنه مع الزمن والنضج يبث فى مضمونه القيم والآراء والمعتقدات ٠

ـ كيف تتكشف لك معانى الحياة : بالفعل المطروح والتجـــربة ؟ بالكلمة المكتوبة ؟ بالتأملات الذاتية ؟

ـ بكل ذلك معا ٠

ـ ما هى الانفعالات والأفكار التى تعانيها ككاتب على تمام الوعى بالعصر ؟

ـ تمتص مصـــر الجزء الأكبر بطبيعة الحال لما تعانى من أزمات طاحنة فى فروع حياتها ، الاقتصـــاد ، السياسة ، الثقافة ، الخدمات الخ ٠٠ الخ ٠٠ بحيث أصبح التفكير فى التهديد الفورى والتلوث وتآكل خيرات الأرض وأزمة الشـمال والجنوب ضـربا من الترف الفكرى للأسف الشـديد ٠٠ ولكنه موجود على أى حال ٠

ـ حين ترى أن الثوار يتحولون الى مستبدين ، بمجرد الجلوس علىمقاعد الرئاسة ، مثلما يحدث فى قصة الخوف ، فانت تقف فى اطار اخلاقى نفسى وتشاؤمى ، لأن البشرية لن تفقد الأمل فى وجود الثوار ، الذين يفون لافكارهم الأولى ٠

ـ هذا حق ، ولكنى بالخوف عبرت بصـدق عن ثورة معينة فى فترة محددة من تاريخها ، وللأسف قد فهمت الرقابة أنها قصة فتوات !

ـ تدافع بعض شخصياتك عن التناقض فى سلوكها ، ما بين الرحمة والقسوة ٠

فهل هذا هو تصورك للشخصية فى عناصرها الأساسية الأولية ؟

ـ الانسان خليط من الضعف والقوة ، من الخير والشـــر ، من الغباء والذكاء ، وهو يستحق الرحمة بقدر ما يستحق العقاب ٠

ـ لأن اسمك ظل يملأ الحياة الأدبية منذ الخمسينات ما هـو خط التطور الذى مضيت فيه ؟

ـ كأى فرد فى هـذه الدنيا ، يتغير باسـتمرار من حيث التلقى وبالتالى من حيث الاعطاء ، تنتقل اهتماماته من منظور الى منظور ، ولكنه لا يشعر بهذا التغيير مثلما يشعر به الناقد أو القارىء الواعى ، ولعله بصـفة عامة يتحول الجهاز الاستقبالى من الخارج الى الداخل ،

ومن الحياة الى ما وراء الحياة ، كما يسجل بندول كل فرد بصفة عامة ، والله أعلم ٠

ـ هل تعتقد أن توهج الابداع مرتبط بسن معين ٠٠ ذلك انك ، على ارتفاع السن ، لاتزال قادرا على الابداع الغزير المتصل ، على حين نجد كاتبا مثل يحيى حقى يعترف بأنه لم يعد لديه ما يكتبه ٠٠

فما هو السر وراء هذا الاحتفاظ بملكة الابداع نابضة ؟

ـ الحق ان سؤالك يتعلق بقدرات خفية ، يملك الحكم فيها اساتذة مختصون أكثر منى ، الا ترى ان الزهد قد يدرك انسانا فى شبابه على حين ان آخر يتزوج وينجب فى الثمانين ؟ ٠٠ مع ملاحظة ان ضربك المثل بالاستاذ يحيى حقى غير موفق ، فقد واصل الانتاج حتى الشيخوخة ، وبجمال وكيفية يغنيان عن أى غزارة ٠

ـ لو أتيح لك أن تختار من أدبنا الروائى عشرة نصوص تمثل أدبنا العربى فى أروع نماذجه ٠٠ ما هى هذه الأعمال ؟ ومن قبل ما هى المعايير التى تحكم اختيارك لها ؟

ـ اتريد أن تجعل منى ناقدا رغم أنفى ؟

كى أجيب على مثل هذا السؤال يجب أن اتفرغ له ، ولكى اتفرغ له ، يجب أن ينضب معين ابداعى أولا ، ولاباس بعد ذلك من مراجعة حياتنا الروائية واعطاء الجواب المناسب ، ولكن ستظل فى جميع الاحوال أعمال تلمع قبل الدراسة مثل حديث عيسى بن هشام ٠٠٠ زينب ٠٠ الايام ٠٠ عودة الروح ٠٠

ـ تطالب دائما باعادة النظر فى النظام العام ، وطرح تصور شامل ، يضمن لبلادنا القوة والتقدم ٠

فهل لك أن تضع بضع علامات لهذا التصور ؟

ـ لقد كان حلما ، ولكنه يبدو اليوم انه يتحول الى واقع وسياسة يومية ٠

فاليوم ثمة دعوة لتأصيل الديمقراطية ٠

واليوم ثمة دعوة لتأصيل الاشتراكية ٠

واليوم ثمة دعوة للانضباط والنقاء فى السلوك والعمل ٠

صدر للمؤلف :

- « العمارة الانسانية للمهندس حسن فتحى »

مكتبة الأنجلو المصرية »، القاهرة ١٩٧٧ ٠

- « مواقف ثقافية »

مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

- « سعد أردش رجل المسرح »

دار ألف للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ٠

- « صلاح عبد الصبور الحياة والموت »

كتاب المواهب ، قطاع الأدب بالمركز القومى للفنون التشكيلية ، ١٩٨٥ ٠

فهــرس

رقم الايداع ٥٧٧٤/٨٥

الترقيم الدولى ٥ ٧٧٣٠ ٠ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ينبع أدب نجيب محفوظ ، فى مراحله المختلفة ، من حياته وتجاربه وثقافته ، ويرتبط ارتباطا حميما ، يصل إلى حد التفاعل ، ببيئته وعصره ، على الصعيد الاجتماعى ، والسياسى ، والحضارى .

لهذا يصبح الحوار المتجدد مع نجيب محفوظ ، ككاتب معاصر لم يعرف العزلة أو الاغتراب الروحى أو التعالى على الحياة العادية ، ضرورة للقراء والنقاد ، لا غنى عنها ، تلقى ضوءًا على أعماله الفنية وأفكاره ومواقفه ، التى يستجيب بها لدواعى نفسه ..



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب